الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم -

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات اللغوية

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص دراسات أدبية مقارنة

بعنوان:

أثر اللامعقول في الرواية العربية عند نجيب محفوظ " الثرثرة فوق النيل" أنموذجا

إعداد الطالبة:

- بلعباس خديجة

إشراف الدكتورة:

فريحي مليكة

السنة الجامعية : 2017/2016

مقدمة

يتناول هذا البحث جانبا من أدب "نجيب محفوظ" ، وهو الجانب المتعلق برؤياه للامعقول اتجاه العالم والحياة الإنسانية ،ومنهجه في رؤية الخلاص على الصعيدين الذاتي والحضاري ،ونحن ندين بفكرة هذا البحث لعدد من المفكرين وعلى رأسهم زعيم من زعماء اللامعقول "يوجين يونسكو" الذي درس ظاهرة اللامعقول في المجتمع الغربي ،كأسلوب في الحياة والفكر انتهجه بعض الأدباء والمفكرين والفنانين لمواجهة حضارتهم المعتلة روحيا ،وإن اختيارنا لشخصية أدبية عربية الأصول ،من تراثنا الأدبي الحديث ،هي "نجيب محفوظ" كنموذج للامعقول العربي ،نابع في من إثارة أسلوبها في الحياة وفي الفكر.فهي تملك من أمرات العبقرية ما جعلها تستأثر باهتمام كثير من الدارسبن لجوانبأدبها وفنها وسيرتها .وبدورنا حاولنا الإقتراب من عالمها فوجدناه عالما لا يختلف عن عالم اللامعقول الجوهري ،في علاقاته بروح العصر وقضاياه الحضارية .فقد نشأ نجيب محفوظ في بيئة شرقية ،كانت مصدرا لروحانيته الشرقية من ناحية ومرتعا لطفولته البائسة من ناحية أخرى ،ثم انتقل بعدها إلى العيش في بيئة أخرى ذات مناخ ثقافي مختلف،ومناقض تماما للبنية الثقافية لمجتمعه الشرقي ،وهو مناخ الحضارة الغربي ، وقد ولد هذا التناقض الثقافي في نفسه حالة من القلق ،تضاعفت مع وعيه بخطر النفوذ المادي للمدنية الغربية على ذاته الفردية وعلى مصير الإنسان نفسه .وهو ماحدا به إلى رفض هذه الحالة من الوجود ،ومعها صار رفضه شاملا لكل أشكال الحياة الإنسانية لأنها تراءت له بدون معنى ولا هدف. وإذا كنا قد ألفينا بعض اليسر في فهم أسلوب مواجهته لآثار بيئته الشرقية في نفسه -وهو أسلوب تمثل في تأكيد ذاته عقليا وإبداعيا لتجاوز الشعور بالدولية ،وكذا ممارسة تأثيرتيته الإبداعية لهدم البنى الثقافية المختلفة لمجتمعه الشرقي بغية تحرير إنسانه خارجيا.

يتداخل مصطلح "اللامعقول"في إرتباطاته الذهنية بالمصطلحين الآتيين : "المتمرد"و "الثائر" ،لكننا نعتقد أن هناك فروقا نظرية دقيقة بينها جميعا ،حدث بنا إلى اختيار مصطلح "الامعقول"دون سواه لوصف الظاهرة التي سنعالجها في بحثنا هذا .لذلك ارتأينا أن نفرد مبحثا خاصا في المقارنة بين هذه المصطلحات الثلاثة لتبين الفرق بينها ،ثم نحد مرتدنا من مفهوم "اللامعقول".

جاء في لسان العرب من مادة"مرد"مايأتي :"المارد" :العاتي ،مرد على الأمر ،بالضم ،يمرد مرودا ومرادة ،فهو مارد ومريد ،وتمرد : أقبل وعتا ،وتأويل المرود أن يبلغ الغاية التي تخرج من جملة ما عليه ذلك الصنف... وقد تمرد علينا أي عتا .ومرد على الشر وتمرد : أي عتا وطغى.

أما مفهومه الإصطلاحي فهو رفض الرأي الأخر ،وهو رفض السلطة وإن اختلفت صورتها أو شكلها ،كما أنه قد يكون أحيانا رفضا للنظم والقوانين والأعراف المرعية والمعمول بها والمتفق عليهى ،وهو يمثل أيضا نوعا من الغضب المكبوت أو الرفض لأسلوب حياة معين ،بادعاء الرغبة في الحرية أو التغيير عن النفس أو تحقيق الذات.

أما لفظ الثورة :يعني التغيير الجذري والسريع لنظام سياسي بأسره أو لبنية إجتماعية ما ،ويتم هذا التغيير وهذا التحول بواسطة إرادة الجماهير العريضة ،وقد تتوسل الثورة بالعنف كما في حال إسقاط نظام سياسي ما ،أو بدونه كما في حال استعمال للمصطلحان الآتية : الثورة الصناعية ،الثورة الثقافية ،الثورة العلمية.

ويقودنا هذا التعريف العلمي للثورة إلى تبين أوجه الإختلاف والإئتلاف بينها وبين التمردفيما يأتي :

إن الثورة أشد فعالية من التمرد وإن كان مطلب الإثنين واحدا ،ألا وهو التغيير ، والمتمرد الحقيقي هو من يعرف بديل ما يرفض ،إنه ههنا الثائر وقد تجاوزا مرحلة الرفض إلى طلب التغيير ، فهو يعي بصورة واضحة مشروعه المجتمعي .فالثورة إذن هي فكرة سرعان ما تدخل في سياق التجربو التايخية الحية ،فتتحول إلى فعل جماعي موحد ،بخلاف التمرد الذي ه. فعل فردي غامض في رؤيته أو مشروعه.

إن الثورة هي سليلة التمرد ،تولد من رحمه ، فتحتضنها الجماعة ،اذن تتضمن الرفض والبديل التغييري معا ،لكنها في سعيها لتحقيق مثلها المطلقة قد ترتكب شرا مطلقا في سبيل خير مطلق مما يوقعها في التناقض فاستخدامها للعنف هو ما يميزها عن التمرد ،ويجعلها في منأى عن أصلها الذي تولدت منه ألا وهو التمرد.

أما خطتنا المنتهجة في هذه الدراسة المتواضعة ،فهي تعتمد على فصلين إذ قسمناه إلى أربع مباحث ،حرصنا في المبحث الأول على تأصيل مفهوم اللامعقول،والمبحث الثاني على ميادين ظهور اللامعقول ،أما المبحث الثالث يتناول مضامينه ،والمبحث الأخير يتحدث

عن الخصائص الفنية له، أما الفصل الثاني يتضمن ثلاث مباحث ،البحث الأول يتحدث عن تطور الأدب عند نجيب محفوظ ،والنبحث الثاني تناول أثر الأدب الغربي في أدب نجيب محفوظ والمبحث الأخير ألا وهو الجانب التطبيقي والذي يتحدث عن مظاهر اللامعقول في رواية ثرثرة فوق النيل.

تلك هي خطة البحث- كنا تصورناها -أما الظروف التي واكبت سيرورة بحثنا ،فقد لاقينا بعض المشاق مثل تعذر بعض المصادر والمراجع علينا ،وعدم فهمي جيدا لهذا الموضوع.

المبحث الأول :تعريف اللامعقول

أ. لغة:

مالم يكن تصورا او إدراكه ، كانت كتابته تمثل نزعته إذا اللامعقول يبدود هذا الزمن وكأنه زمن اللامعقول .

ب.إصطلاحا :

بعد الحرب العالمية الثانية ونتائجها التي أثبتت، إفلاس القيم الروحية ،والأخلاقية، والدينية، وجعلت النظام السائد في أوربا عرضة للانهيار ، برز أدب العبث واللامعقول، للتعبير عن لا معقولية،وانفصام الروابط الإنسانية، في المجتمع الأوربي.

وقد ألفينا بعض المتنطعين يذهبون بأدب اللامعقول ويسعون لترويج هذه البضاعة المزجاة إمعانا في الإعراب ليطلعو على الناس بما يظنونه جديدا فيتوهمون أن صاحبه سيحظى بالإعجاب إذ جاءهم ما لا يعرفون، وقد يتصورون أن سرعة إستجابتهم لما يصدره الغرب من مهازل هو مثل للتطور والتقدم، ولكن للأسف أن هذا النوع إنما يقلد في السخافات لا في المجال النافعة.

إن أدب اللامعقول لا مكان له في المجتمع الإسلامي، لأنه تعبير عن مجتمع يسوده الإلحاد وتسيطر عليه الشكوك والحيرة، فإذا كان الأوروبيون يعيشون في فراغ روحي وحيرة قاتلة ، فإن المسلمين لديهم من الدين القويم والعقيدة المشرقة ما يجعل المجتمع الإسلامي مجتمعا متماسكا تربطه أمتن الروابط بخلاف المجتمع الغربي [1].

وقد رأى كتاب الأدب اللامعقول أن كل الأفعال والأنشطة التي يقوم بها الإنسان وكل الخبرات التي يكتسبها مهما بلغ في الفلسفة قيمتها ونفعها، ماهي في حقيقة الأمر سوى تسلية لا طائل من ورائها ولا تتغير من شئ وقائدتها الوحيدة هي قطع الوقت وقتل الملل في انتظار خلاص لا يجيء [2].

---

[1] موقف الدين الكازري، ***أدب اللامعقول*** ، مقال منشور على موقع الالكتروني www.mokatabat.com ، سا 22:05- التاريخ-2016/08/14 .

[2] زيد بن عبد العزيز الفايض،***المعقول و اللامعقول،*** مقال منشور على موقع الالكتروني www.facebook.com-posts ، سا-16:30. التاريخ.2010/08/07.

يقول أنيس منصور:هذا الأدب معناه أنه لا يوجد شيء معقول، ولا يوجد شيء منطقي، بل أن حياتنا مليئة بالكلام الفارغ من المعاني، وإننا نهرب من المعاني المملة ومن الثرثرة ومن قيود العقل، ولذلك فالإنسان يهلوس أو يتحدث إلى نفسه [1].

وقد عرف موللر muller freienfels اللامعقول عن طريق السلب قائلا: "بأنه ليس تشكيكا، لأن الشكاك يعرضون عن البحث في الحقيقة، بينما اللامعقول يبحث عنها في اتجاهات جديدة أهملها المذهب العقلي، ولا يرفض اللامعقول العقل،
لكنه يضع بجانبه وسائل معرفية أخرى على جانب من الأهمية [2].

أما عن موضوع المعرفة فإن اللامعقول يدّعي أنه يتعرف على موضوعات كثيرة لم يصل إليها العقل ومن بينها حقائق أساسية مثل الموجود، وإن كانت المعرفة العقلية ملكة وضع للتصورات العامة، فإننا كثير من الحالات نتخذ موقفا ما من غير استعمال للتصورات العامة، ومع هذا فليست الإحساسات المجردة هي التي تفسر هذه الحالات المعرفة اللاعقلية ، فمثلا نجد بعض النساء اللواتي لا يقدرن على التفكير المجرد بمفهومه الفلسفي يدركن العيان وطباع شخص رأينه لأول مرة [3].

جاء في مقال الدكتور محمود السمرة "وقد حدد زعيم من زعماء اللامعقول هو يوجين يونسكو مصطلح اللامعقول في مقال كتبه على النحو التالي : المجتمع هو اللامعقول لا الأدب، والمجتمع اللامعقول هو المجتمع الذي لاغاية له، وهو المجتمع المنفصل عن جذوره الدينية وتقاليده ،في مثل هذا المجتمع يكون المرء ضائعا ، ويكون كل ما يصدر عنه لا معنى له ولا فائدة ترجى منه، وبهذا يكون اللامعقول" [4].

يقول ميرسون :"إن العقل يعد قبل كل شيء ملكة تمثل أي إقامة موافقة بين شيئين، وكل ما يمتنع عن التجربة هو خارج عن نطاقه، لذا لا توجد فائدة من المحاولات الرامية إلى إيجاد وحدة لقوانين العالم، لأن النظرة الإجمالية ترينا أن العقل يتضارب مع المحسوسات،

---

[1]منصور أنيس ، ***مسرح العبث*** ، مقال منشور على موقع الالكتروني www.facebook.com-posts ، بتاريخ 2015/04/7 ، على سا 21:15 .

[2]محي الدين عزوز ،***اللامعقول وفلسفة الغزالي***، الدار العربية للكتاب، ليبيا،تونس 1983 ب ط، ص10.

[3]المرجع نفسه ص15

[4]محي الدين عزوز، مرجع سبق ذكره ،ص 18.

وأن قوانينه لا ترضى بتعدد التجربة، غير أن التجارب العلمية بينت مافي هذه النظرة الموحدة من مساوئ ، سواء كان ذلك في الفيزياء أو في علم الأحياء أو في الفكر.

ومن ثم تعين على الحواس أن تبين لنا الاختلاف النوعي لنتائج التجربة وأن ترينا الفرق بين الصوت والضوء، وبين الأزرق والأحمر....إلخ أي أن التجربة هي مصدر اللامعقول

إن هذا الشيء الذي يدعونه باللامعقول هو أدب الكسل والخنوع والجبن إن صح أن يطلق عليه اسم الأدب. أدب جحور باريس المظلمة هو أدب الضياع والبوار[1].

أدب اللامعقول في تعبيره عن المأساة الناتجةعلى أنه لاشئ في الوجود ثابت هو في الوقت نفسه يضحك ويبكي، وبهذا ينمو ويكبر وعيبه الرئيسي في رأي محمود السمرة أنه أدب سالب يلغي دور الإنسان ويراه عاجزا عن التغلب على مشاكل العصر وليس هذا بصحيح، فالإنسان بقدراته وطاقاته ومواهبه قادر على صنع الأعاجيب.

المبحث الثاني :الميادين التي ظهر فيها الأدب اللامعقول.

[1]محمد عابد الجابري، **نحن والتراث**، دار الطليعة ،1980، ب ط. ص15

لقد ظهر الأدب اللامعقول في نزاعات عديدة ومن بين هذه الميادين:

1. **ظهور الأدب اللامعقول في النزاعات الأدبية:**

منذ بداية العصر الحديث عبر الكثير من الكتاب عن الثورة المباشرة ضد العقل واتفقوا كل حسب رأيه ووجهة نظره الخاصة على أن الإصلاحات العقلية للأخلاق والسياسة والفن لا تساوي شيئا أمام فرقعة الحياة الشخصية ، لذا قاموا بنقد شديد للعقل ولمذاهبه.

أ - نقد المذهب العقلي:

نقد كيركقرود: (kierkegard) بدأ الهجوم عن العقل في العصر الحديث من طرف كيركقرد (kierkegard) و فشيلر(schieler) وفجسرز (jaspers) وغيرهم...وعم الهجوم ميدان الأخلاق والمنطق والأدب وغيرها من الميادين الأخرى. وقد حاول هؤلاء إكتشاف طريق سليم جديد يؤدي إلى معرفة الحقيقة .

أما هيجر(hedegger)فإنه ألقى بنظرة هادئة إلى حالة الإنسان وقال : إن هذه الحياة الحقيرة وإن الواقع الحقيقي هو الاهتمام، وهذا الاهتمام بالنسبة للإنسان المتشبث بالعالم وملاهيه ، هو خوف سريع قصير الأمد ، ولكن هذا الخوف إذا استمر واشتدت وطأته حتى بلغت درجة يشعر فيها بالخوف قلقا ، وفي هذه الحالة يجد الوجود نفسه [1].

ويرى هيجر(hedegger) أن هذا الاهتمام يعد أهم من جميع المقولات التي يمكن إن توجد في العالم.

وقد مال إلى هذا الحل بعض المفكرين مثل : دوستوسفكي في رواياته ، ولوكيير وغيرهما [2].

ب-**نشأة الإحساس بالمحال:**

يرى ابن خلدون أن الفهم هو عملية الإستيلاء على الموجودات ، أما غيره فقد فسره بمعان أخرى ومهما قال علماء المنطق فإن الفهم هو قبل كل شيء عملية جمع وتوحيد

---

[1]- كولن ولسن، ***المعقول واللامعقول في الأدب الحديث***، تر، أنيس زكي حسن، ط 4، 1978 ص50.

[2] محي الدين عزوز، مرجع سبق ذكره .ص35

للوقائع ، ويعد الفكر في مسيره رغبة في الإدراك والتعرف وميلا للوضوح ويعد العالم الخارجي أول ما يسعى الفكر إلى معرفته وفهمه وفهم العالم، كما يقول كامو هو بالنسبة إلينا أن نضع عليه طابعنا ونجعله في متناول أيدينا ، وهذا العالم يختلف حسب الأفراد . فعالم القط ليس هو عالم النملة ، وعالم الذئب ليس هو عالم الفأر ، ولو استطاع الفكر أن يجد بين الظواهر المتقبلة إضافات دائمة تلخص هذه الظواهر وتتخلص هي بدورها في مبدأ علم واحد أمكن ، إذ ذاك التكلم عن السعادة فكرية لا تدانيها أي سعادة.

ولو كتب الفكر تاريخنا صادقا لسيرته في شكل سجل لخيبات متوالية ، وهذا يفسر لنا عجزنا عن إدراك الشيء الذي تمكننا معرفته . هذا القلب الذي يخفق بين ضلوعي يمكنني أن أحس به وان أحكم بوجوده . وهذا العالم المحيط بي يمكنني مسه والحكم عليه أنه موجود .إن هذا هو كل مايمكنني معرفته وماعداه فهو من قبل التخمين والتركيب . فمثلا لا يمكنني أن اوجز أو ان أحدد "الآنا" الذي أنتسب إليه لأنه ينساب كالماء بين أصابعي كلما حاولت إمساكه

2. **ظهورالأدب اللامعقول في الميتافيزيقا**

يقول بونتي: نرى في عصرنا هذا أن العلوم الإنسانية تنحو نحوا ميطافيزيقيا وغير طبيعي ، لأنها تجعلنا نكشف من جديد نوعا من المعرفة غفل عنها الإنسان المحافظ على عقليته الطبيعية [1]. ومن السهل علينا أن نتصور أنفسنا في عالم يحلق تفكيرنا فوق أجوائه دون أن يغير شيئا من طبيعته الموضوعية ، ونلقي عليه نظرة عابرة، تلك النظرة التي اتخذت منها العلوم الناشئة نظاما وقانونا.

3. دلت هذه العلوم على أن معرفة الإنسان لم تكن تأملا مجردا ، بل هي نظرة من كل واحد منا في أعمال الآخرين عندما ينسب لنفسه تركيبا لغويا أو روح حضارة لم يتصورها تصورا من غير أن يفهم موجب هذه النغمة أو تلك الحركة .

وتظهر الميطافيزيقا في اللحظة التي تدرك فيها ارتباط ذاتية تجاربنا ومقدار حقيقتها.

والقول أن هذه التجربة هي تجربتنا ، فإننا نقصد شيئين :

1-إنها ليست قياسا أو قانونا لكل شيء في ذاته يمكن تصوره

[1] محي الدين عزوز، مرجع سبق ذكره، ص45.

2-إنه من الممكن أن تنطبق على كل كائن ممكن التصور كما أنه من الممكن خلاف ذلك.

والمقصود من الميطافزيقا وصف الشعور ووصف للحقيقة وللتبادل والإتصال لأنه في الوقت الذي أدرك فيه أن التجربة بوصفها ملك لصاحبها ، تطلع على ماهو ليس "بالآنا"

موضوع الشعور الميطافيزيقي هو التجربة اليومية : هذا العالم الآخر بين التاريخ البشري ،الحقيقة،الحضارة. بدل أن ينظر إليها الشخص على أنها أحداث كاملة ونتائج من غير مقدمات ، نتائج قائمة بذاتها ، فإنه ينظر إلى مافيها من غرابة وإلى مافي ظهورها من أعجوبة.

لم تكن الميطافيزيقا تركيبا للتصورات التي نحاول بوسطها تخفيف حدة مفارقتنا ، بل هي التجربة التي نقود بها في كل مواقف تاريخنا الخاص والعام ، وهي الأعمال التي تتحمل هذه الأعمال وتحيلها إلى معقولات [1]

3- المذاهب الفلسفية اللامعقولة

ولعله من اللامعقول أيضا أن يهاجم العقل من طرف حملة مشاعلة الأوهم الفلاسفة ، ومع هذا فقد وجد من بينهم من نادى بنزعات تستند إلى الغريزة ، ومن بين هذه المذاهب الفلسفية التي حقرت العقل تحتل النزعة الإرادية مكانة مرموقة ، ويقول أصحاب هذه النزعة بأنه يجب علينا تصور الأشياء بمقارنتها لا بصور الفكر ، ولكن بالنزعات اللامعقولة التي لإرادتنا ، وأبرز هذه النزاعات هو مذهب "إرادة الحياة" الذي نادى به شونبهور (shopenhawer)

أ-إرادة الحياة: مبدأ عام للغريزة تدفع كل فرد منا إلى تحقيق نحوه الكامل ومقاومة بقية الأجناس حفظا على نوع الحياة التي اتخذها لنفسه غير أن الإرادة في حد ذاتها هي اندفاع قوي أعمى لايعرف شيئا ،ولكنها بمساعدة عالم الإمتثال الذي سخرته لخدمتها إستطاعت أن تعرف مقصدها وأن تحده تحديدا دقيقا.

ب-**إرادة الإعتقاد**: النزعة الفلسفية الثانية التي هاجمت العقل بشدة وعنف هي نزعة إرادية الإعتقاد ، وقد نادى بها ويليام جيمس(w.james)وهي إرادة قبول بعض الحقيقات التي لا يسفهها العقل ،رغم انه يعجز عن تفسيرها تفسيرا منطقيا ،ولايمكن التسليم بهذه الحقيقات

[1] محي الدين عزوز، مرجع سبق ذكره ، ص 48

مثل الثقة بالنفس التي تزيد من قوانا وتجعلنا نعتقد أننا كنا على صواب لما اتخذنا هذه الثقة واستفدنا إليها في القيام بأعمالنا [1].

المبحث الثالث : المضامين الفنية للامعقول

1 - المشروطية الزمكانية.

من الطبيعي لا نوافق قط أنصار مذهب اللامعقول الذين شَوَهُو حقائق أساسية في منهج اللامعقول بقولهم : إن العالم يؤول إلى العدم وأننا نكرر العدم بالعدم ضمن البلية الكونية ، والسؤال المطروح : كيف يكون العالم ثابتا ومنتظما ومكررا نفسه وفق معايير مشروطية أبدية ، ثم ينحدر في النهاية صوب العدم؟ . لاشك في أن التأمل في عالم الثبات الكوني

[1] لالوند ، ***لالاند الفلسفية معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية*** - تر- زكي نجيب الدار العربية. ط أ.2002 ص 11.

يتطلب عمقا معرفيا في جملة المعايير و والقوانين الكونية. هذا يقودنا إلى العمق المعرفي ...إلخ.

صحيح أن الزمن الكوني ثابت في دورته ، لكن الزمن البشري متحول فنفهم من هذا أن الزمكانية الكونية تؤلف وحدة منسجمة ، أما الزمكانية البشرية فهي جملة الوعي النسبي الذي يستنطق المسبق الزمكاني الكوني من خلال الزمن البشري المتحول في أحداثه التي تبحث عن المعادل الكوني "سرانية النظام" [1].

إن الفن نشاط عقلي يعمل على الكشف الصريح عن القيم الجمالية الساكنة في البنية الكونية. يقول أفلاطون: "كركب وحده يمكن أن يكون جميلا وليس أي شيء خاليا من الأجزاء" لاجرم خلق الجزء في الكل ، من هذا نرى أي وحدة في الخلق ، سواء كانت في الخلق الكوني أم الفني أم الأدبي مشروطة باتساق البنية وديمومتها ، وفن اللامعقول يستبعد تماما أن يكون من الأموات في البنية الخلقية للأشياء التي وجدت بوعي القوة وقوة الوعي فاستوفت شروط بقائها بالفعل من الطبيعي أن الزمان مرتبط بالمكان من حيث أنه واقعية حتمية ، وكل واقعة تتضمن فعلا، وكل فعل يتضمن حركة . يقول أبو حيان التوحيدي : الزمان مدة تعدها الحركة غير ثابتة للأجزاء[2]، هنا يربط التوحيدي الزمان بخاصية الحركة وأن كل ما يحدث ينشأ بفعل الشخوص.

يتبين من خلال الحركة الكونية أن هناك زمانين ينبغي أن نميز بينهما ، زمان بالقوة وزمان بالفعل وذلك على الشكل التالي:

أ- زمان بالقوة : وهو زمان كلي تام ثابت ويمثل الزمان الكوني الأزلي عند خلقه الأول والمتمثل في المادة وقوانين حركتها

ب-زمان بالفعل:وهو زمان جزئي ناقص متحول ،ويمثل الزمان البشري الزائل عند خلقه المتوالي والمتمثل في فعاليات ومنجزات الإنسان وتاريخه وقوانين حركته.

منهج اللامعقول يرفض زمان يبحث في المتحول الزائل. وإنما يبحث في زمان القوة الكلي التام الإفصاح عن القيم الجمالية الثابتة ، والزمان يستفيض عن المعايير المختلفة للحركة الثابتة أصلا في كلياتها وجزئياتها . إذا الزمن والحركة في ثبات يعيشان في صمت هي

---

[1]-منير حافظ ، **المعيار الجمالي في فن اللامعقول، دار الجامعية** ، ط 1، 2001 ،ص37

[2]محمد توفيق حسين ،**عن كتاب المقاسات**، دار الأدب، ط1،2000 ،ص 48.

ورقابتهما وسكونهما منذ الأزل ، ومهما يكن من أمر فإن الزمن ضرورة حتمية لنشوء الحياة ، لذلك فإن الحياة عبارة عن دورة زمانية ثابتة في تكوينها الكلي ومعايير حركتها [1].

لايؤمن اللامعقول بما يسمى بالصدفة سواء كان في الجسم أو الفكر أو النفس كلما ورد في منهج الدارونية كما يظهر لي. وجوابنا كرد على تلك المفاهيم المجردة، سبق وأن قلناه : إن كل شيء مقدر في حساباتنا ومحدد زمانيا ومكانيا وحركيا ، ويخضع بالضرورة إلى معيارية ثابتة منذ الخلق الأول ، ومن الطبيعي لايخلق الأمر من تشابه أو تكرار في واقع الحياة والنزعات الفطرية المتأصلة في نفس البشرية . يقول "جاك مونو" (إننا نجد الأساطير والأديان والإيديولوجيات الفلسفية على شدة تنوعها صورة أساسية واحدة تتكرر) [2] .ولكن اللامعقول في حقيقة الأمر هو الأشد واقعية ومعقولية حينما لايرى في المجتمعات الإنسانية ما يربطها من عوامل جمعية مشتركة وتاريخ موحد ، وقيم ولغة موحدة ، وإنما يرى هو لا من التناحرات الطبقية وشعب غالب شعب وتعدد لغات ومعتقدات.

2 - نموذجية العبث والإغتراب:

ينبغي ان نوضح بدقة أن الإغتراب في منهج اللامعقول تعبير حقيقي عن اللامعقول الذي تعاينه البشرية ، أفراد وجماعات، واللامعقول يعني الإعتراض على فعل اللامعقول والحدّ من العبث العفوي أو المنظم في كل مجالات نشاطنا الإنساني ولا أعتقد أن منهج اللامعقول هو الذي يكرّس فعل اللامعقول وعبثية حياتنا ومصيرنا الإنساني الروحي ، والإغتراب الذي نستنتجه من إغتراب الفرد عن ذاته ومجتمعه وعزلته ووحدته وانسلاخه عن الواقع ، والفن الواقعي الذي يبحث عن القيم الجمالية الأصلية، ينبغي أن يكون متحررا من نزعة الإغتراب وينخرط في الحركة التاريخية الإنسانية.

إن فن اللامعقول العبثي نتيجه حتمية للفوضى التي تعاني منها البشرية على مر العصور،ومن المعلوم أن البنائية الكونية قائمة أيضا على بنية أخلاقية واحدة رصينة ومتسقة ، ويرى المنهج اللامعقول أن الحركة الفوضية في أنماط التفكير ونماذج النظم وطرائف المعتقدات الروحية والفكرية ...إلخ تخالف المحتوى الحقيقي للحياة، الأمر الذي يفصح عن مفاهيم تتعلق في حركة الأشياء. ومن الملاحظ أن حركة المعنى بلا معنى

---

[1] منير حافظ ،مرجع سبق ذكره، ص45

*__جاك مونو__: عالم في عام الحياة

[2] حافظ جمالي ، ***المصادفة والضرورة***، دار الطلاس، ط 2 ،1998 ،ص 154

وحركة الدال بلا مدلول، فكل نشاط بشري هو إستنفاذ للوقت وإفراغ للمنجزات الإنسانية . فمثلا: عدد من الحروف تشكل كلمة وعدد من الكلمات تصيغ جملة ، ومن البديهي أن لكل صياغة محتوى من المعاني والمفاهيم الدالة ، فإن أي فوضى في تراكيب الكلمات والحروف، هي فوضى في تراكيب الكلمات والجمل على حد سواء، وهنا لن تحصل على المعنى المعقول والجميل ، لذلك يمكن القول: إن الجمال هو المعنى المتسق الذي ينافي الفوضى التركيبية لمحتوى الأشياء، لما يلوح في أن العالم يدخل في متاهات اللامعقول كلما تعمقت وتشابكت حركة الفوضى.

إن أي خلل في المعنى هو الخروج عن المعنى المعقول والدخول في المعنى اللامعقول، ومن المعلوم أن جل المعاني المتسقة هي التي تمنحنا معرفة واقية بأنفسنا والعالم المحيط بنا .[1]

3- الماركسية في منهج اللامعقول

لا يعرف الوعي إلا ما يحتويه من معارف ناتجة عن التأمل والتجربة، ويعتبر كل ما هو خارج عن المعرفة والتجربة الواقعية نتاج إنفصامي يندرج ضمن فن التغريب ، ويظل الإنسان بكل ثقافته وصناعته وأحواله المادية والروحية خاضعا للنظام الإنفصامي، وبالطبع لو كان الوعي يعلم مسبقا بالمعارف أو يخزن القيم، لتمكن وبكل جدارة بأن يبني حضارة متكاملة ومطلقة خلال زمن قصير، يقول"كارل ماركس" ليس وعي الناس هو الذي يقرر

[1]- منير حافظ ، مرجع سبق ذكره ،ص 92-102-106

***الاغتراب** : هي الحالة التي لا يشعر بأنه المالك الفعلي لطاقته وثروته، بل يشعر بأنه كائن ضعيف يستند كيانه الوجودي على وتوفر قوة خارجية أخرى لا تمد بأي صلة لذاته.

وجودهم وطبيعتهم. إنما وجودهم الإجتماعي هو الذي يقرر ويحدد أشكال وعيهم ومستوياته [1].

تبين لنا من هذا المنظور الواقعي جدا أن أي تبدل في الظروف المادية المعاشة التي تخضع للتطور المنطقي عبر حركة الإنسان والتاريخ سواء في تشابه الواقع أم تماثلها أم تطابقها لدى أي مجتمع إنساني هي التي تحدد مستوى أوضاعه وتميز أنماط تفكيره وتصنع قواعده الأخلاقية، وترى الماركسية في هذا المنظور أيضا أن المعايير الأخلاقية والنزعات الروحية والقيم الجمالية لا تهبط من فوق الواقع،ولا تنبعث من داخل الذات،وإنما من عمق المجتمع المشروطة مصالحة بالنظام الإقتصادي [1].

من الواضح أن الماركسية تناقض نفسها في أطروحة مفادها أن كل نظرية نتاج الوعي بالضرورة عن تطور الحياة المادية للمجتمعات البشرية،ولا تخرج عن طبيعة الشروط التي أوجدتها الماركسية في هذه المقولة التي تخص فلسفتها المادية والإجتماعية وصياغته أسس البنيتين المجتمعية والطبيعية وتقر بنفس الوقت بأنه نتاج الأوضاع الإقتصادية ؟الحقيقة لا تتطور الأشياء بمعزل عن الوعي المجتمعي الذي يمثل بالواقع "الوعي الفني"والذي يصوغ القيم الجمالية.

سبق أن تجاوزت الفلسفة المادية "الهيغلية "تجربه الواقع ودخلت في متاهات"الميتافيزيك"فانتقدتها الماركسية، بيد أن الماركسية أيضا قد تجاوزت تجربة الوعي الجمالي ودخلت في متاهات المادة البحتة. الأمر الذي يكشف عن مسألة غاية الأهمية أن كلا منهما قد استغرق في أحادية الجانب، و"الهيغلية" رأت أن الروح المتعالية هي القوة المتحكمة في أقدار الناس وتاريخهم وأوضاعهم ، أما الماركسية فقد رأت أن المادة هي التي تقرر شكل الوعي وتحدد المستوى الإجتماعي والوضع الاقتصادي بعامة دون إيلاء الخصوصية التي يتميز بها كل مجتمع عن نحو متباين . ومن الواضح أن كلاهما ينفي دور

[1]- كارل ماكس ، **موجز المادية التاريخية عن نمو المجتمعات- تر - محمد احمد حسونة**، وزارة الثقافة- دمشق 1984 ص 105

الـوعي فـي المعـادل الأساسـي المتمثـل بوجـه العلاقـة الإنعكاسـية بـين الـذات ك"وعـي" والموضوع ك"قيّم" [1].

4- التبادلية الانعكاسية في محتوى الفن:

إن التبادلية في متشابهات العلاقة الإنعكاسية في محتوى الفن هي تجربة آلية العوامل الداخلية في حياتنا مع النموذج الجمالي في التجربة الكونية ونقدها بقوة، وإن التماثل البنيوي بين التجربة الجمالية للنموذج الكوني والتجربة الجمالية للإبداع الفني الإنساني. تلك هي النزعة العلمية والفنية التي ينشدها اللامعقول[2].

رفض الفنان الفرنسي الكبير"بول سيزان"أنماط ومعايير الإنطباعية بقوله: "إن الحقيقة الجمالية كائنة في الطبيعة وسوف أبرهن على ذلك" [3].

إن الحقيقة في فن اللامعقول موضوعة ترتدي أهمية فائقة تتعلق بالتبادلية المتوافقة مابين طموح الإنسان وإمكانية تحقيقه على الواقع، ومهام الوظيفة التبادلية هي البحث عن التطابق والتناسب بين العمل الفني الإبداعي والتجربة الجمالية للنموذجية الكونية. وبفضلها يمكن استنتاج المعرفة العامة . يقول"جورج كلاوس": إن إقامة تماثل ما بين مختلف مجالات الواقع تفسر بكون الواقع الموضوعي هو بحد ذاته نظام مغلق مترابط، والعلاقة في الموضوعي تنحصر في أن مجالاته المختلفة على الرغم من كونها أشكالا مختلفة الحركة المادة. والعالم متنوع إلى ما لانهاية. تتمتع في الوقت نفسه في مختلف المجالات والمستويات بصفات متماثلة وببنى واحدة متشابهة [4].

يرى اللامعقول أن عصر الفن الأصيل الذي يتطلب فيه الإبداع والعبقرية والقيادة المحضة لهذا العالم لم يحن في وقته بعد. لذا يتطلب منح الفنان حرية أكثر ليفجر مخزون الإبداع عبر التجربة الجمالية، وبهذا تطمئن حياتنا مع المقومات الأساسية في التحول الفني والجمالي والإنتاجي والأخلاقي والتاريخي والروحي . يقول كارل ماركس"ماذا يكون الثراء إن لم يكن التنمية الكاملة لسيادة الإنسان على قوى الطبيعة، أو مايسمى بالطبيعة، وعلى قوى طبيعته على حد سواء؟ ماذا يكون الثراء إن لم يكن الإظهار المطلق لمواهب

---

[1]- منير حافظ ، مرجع سبق ذكره 131.

[2]كارل ماكس، مرجع سبق ذكره ، ص 85

[3]محسن النصار،***العبث واللامعقول*** ، مجلة المعرفة السورية،العدد - 39- دمشق ، 2010 ص112.

[4]هورست ريدكر، ***الانعكاس والفعل- تر- فؤاد مرعي*** ، دار الجماهير، دمشق، ص65

الإنسان الإبداعية بدون أية مقدمات أخرى عبر التطور التاريخي السابق الذي جعل التطور غاية في ذاته؟ أي تطور جمع قوى الإنسان كما هي دون نسبها إلى مقياس محدد مسبقا؟ عندما يعيد الإنسان تجسيدها بكل وحدتها، ولايسعى لأن يكون شيئا ما مستقرا بصورة نهائية، بل يكون دائما في حركة تكون مطلقة [1].

في منهج اللامعقول تفسيرا منطقيا يتجدى في أن الروح هي الوعي مما هو كائن وأن الموات هو غياب الوعي، من هذا لا يصح فصل الجسد عن الروح، والروح عن العقل، والعقل عن الجسد، من حيث أن أي وعي هو إدراك شئ موجود بالفعل، وأن أي روح هي منشأ جسد موجود بالفعل، ولا يمكن إعتبار الروح هي"اللاوعي" الذي يناقض العقل ب"الوعي" وأن الروح شئ فوق الجسد كما يعتقد الهندوس بفلسفتهم"اليوغا" . يقول المخرج والكاتب الروسي"كونستانتين" ستانسلافسقي" أن يكون كل ما يفهم خلقه مقنعا ومبررا داخليا بقوانين الطبيعة الأبدية الملزمة للجميع [2].

وكما يقول أيضا في معرض مقارنته حول توافقية قوانين الفن الإنساني المستمدة من قيم الواقع بقوانين الطبيعة: "لماذا ينبغي أن نبتكر قوانيننا مادامت موجودة ومادامت قد خلقتها الطبيعة مرة وإلى الأبد" [3]

5 - اللامعقول والتراث:

قد نجد في موضوعات فن اللامعقول مبادئ تمثل منطلقات فكرية وأخلاقية ، ولدى تعمقنا في المعاني الكبرى نلمس جملة قيم مرتجعية إلى أحوال وتاريخ وتراث ماض عريق تتطلع إلى تنفيذ مشاريع البدء في توجه نحو حياة أفضل من أجل بعث ماض عريق.

تعتبر بلاغة اللامعقول في محتوى التراث أحد المصادر الهامة في بعث الحياة في البنى القديمة بأسلوب جمالي صوف صادر عن وعي لغوي حديث في صياغته الفكر كي يوحي إليه بالفهم لأعم القضايا العالقة في حياة ملحمية معقدة، والجدير بالذكر أن اللامعقول لم يبرز لنتيجة حتمية لتطور المذاهب الأدبية وأجناسها، وإنما نشأ في وعي ودراية فرزتها مناخات ثقافية وأحوال فكرية ومستويات أخلاقية وروحية، وكما هو واضح لنا أنه متميز

---

[1]- كارل ماكس، ***حول الفن- تر-***، محمد احمد حسونة ، ط1، دمشق ، 1967- ص164-165

[2]كونستاتين سيتانلافسكي، المجلد الثامن - تر- منير حافظ - ط روسية 1918-1937 ص 323.

[3]كونستاتين سيتانلافسكي- المؤلفات الكاملة الثالثة- تر- منير حافظ- ط روسية 1945-1961 ص309.

في طوائفه وبناه ودلالاته عن بقية الأجناس الأخرى ويتلمس المرء المتعمق في جدوى هذا النمط أنه يعمل على فتح قضاء بلاغي فكري وجمالي متحرر من قيود الصنعة وقواعد الحرفة ومكونات الوحدات المأطرة [1].

إن اللامعقول لا يمسح الذاكرة الجمعية، بل يؤكد عليها ويدعو إلى العمل بالمفاهيم المبتكرة لقيادة العالم المتقلب المتحول النامي، ويرى أن العالم إمتدادا للذاكرة عبر مراحل تشكل إمتدادا طبيعيا للزمن وانبعاثا حيا للتراث. إنها النهاية التي تتضمن البداية، إنها الإنفصام الذي يتضمن الإلحام، فاللامعقول يخالف في منهجه المدرسة التجريدية التي وقفت ضد كل الأنماط والقواعد الكلاسيكية التي كانت تعبر عن الفن المادي البحت الذي بدوره يقيد حرية الروح. يقول"رينيه ويليك": من المؤكد أن بالإمكان معالجة الأدب كوثيقة في تاريخ الفلسفة والأفكار، لأن تاريخ الأدب يوازي ويعكس تاريخ الفكر [3].

لا أعتقد أن الفن يغير محتوى الحياة أو يرجع عجلتها إلى الوراء وإنما يمثل كل مرحلة تاريخية ويكشف عن أحوال أناسها من النواحي النفسية والاجتماعية والثقافية والإقتصادية، ويبرز بجلاء مستوى إرتقائها الحضاري والإبداعي قياسا بالحضارات التي سبقتها في تجربة التحول.

فنحن لاننكر عبر لحظاته التاريخية يضيف إلى محتوى الإبداع محتوى تكامليا من القيم والجمال عبر التجربة الجمالية الصرفة ، أين التحول والتقدم الحضاري عبر العصور السالفة؟ أين كل إرثنا؟ أين كل صور الدمار والخراب والحرائق وصور الغزو التي تعرضت لها الحضارة؟ ماأدرانا؟... لعله مجرد لعبة جماليه في قلب التجربة الجمالية، ولما يلوح لنا أن أي دمار شامل أو كارثة كونية أو طبيعيه ستنهي كامل المحتوى الحضاري، ولا تعد هناك مفاهيم وقيم وكوائن تقدمية أو رجعية، لذا فإن التحول عبر المراحل التاريخية الإنسانية يرتبط باللازمن الكوني المحدود منذ الخلق الأول، وأي تغيير هو الخروج عن السياق الجمالي . ليس التغيير هدما للبنى الجمالية عبر الفعالية الحضارية ، وإنما هو الكشف عن المنهجية القبائحية المنظمة وتحطيمها بغية تصحيح مسار دورتها الكونية

---

[1] منير حافظ، مرجع سبق ذكره ص89

*__التجريدية__: تجريد كل ماهو محيط بنا عن واقعه ،وإعادة صياغته برؤية فنية جديدة فيها تتجلى حسن الفنان باللون والحركة والخيال، وحالة

وتطابقها من خلال النشاط الإبداعي للإنسان الذي لاينفك عن الإستنطاق والفصح المسبق عن الزمكان الكوني الثابت عبر الزمكاني البشري المتحول الذي يبحث عن المعادل الكوني بالنظام التوازني في التعبير عن محتواها. يقول موندريان أحد الفنانين التجريديين "إن الفن ليس له معنى إلا بمقدار ما يعبر عما هو غير مادي"، لأن هذا هو الذي يمكن الإنسان من أن يتعالى على وجوده [1]. وإتهمت هذه المدرسة الفن التقليدي بخوائه من الحرية والروحانية على الأبعاد النفسية المشتملة على الواقع.

لقد أجمع الدارسون والنقاد على أن الحداثة صيغة فنية أوربية المنشأ إعتمدت على الفن القديم المستمد من التراث الإنساني، وحاولت أن تصوغ فنا متطورا ومتحررا من إسار الفن التقليدي الأوروبي ولا يرتبط بأي مرحلة تاريخية أو وحدة تاريخية مستقلة،

ومفهوم الحداثة في فن اللامعقول يأخذ منحنيين بارزين ، منحنى يتوجب الإقرار به ويشمل الأنماط الفنية للتراث الإنساني ، ومنحنى وجوب رفضه، ويتعلق بموضوعة التحرر من إيسار الفن التقليدي الأوروبي [2].

يخالف اللامعقول المقولات التي تتذرع بالتمرد على الصيغ الفنية لتبرر ما تدعيه في خلق فن حداثي من طراز جديد في الوقت الذي نراها متناقضة في طروحاتها أثناء دعوتها على ربط الحداثة بالأصالة أو التراث لإمكان استيعاب التجربة الإنسانية والإرتباط الوثيق بالماضي العريق، وللأسف إتخذت من هذه التفسيرات جملة مبررات تخص الأوضاع الاقتصادية والأهداف السياسية [3].

6-اللامعقول في لغة الخطاب:

قد يشعر المرء أول وهلة بأن هنالك لعبا في الكلمات من حيث العبثية في المصطلحات والتراكيب ، بيد أنها تتضمن معان باطنية جد معقولة على الرغم من تضمينها تضاد في الأفكار، لذا يغدو اللامعقول في التركيب اللغوي معقولاً في التركيب العقلي الباطني.

إن منهج اللامعقول في الإبداع الأزلي يقوم على اللعب في التركيب اللغوي والتضاد في الطرح الفكري، غير أنه يكسر كل الأطواق القاعدية والمنهجية في المشاريع البنيوية المغلقة في الظواهر الأدبية، ويفسح مجالا حيويا متعدد الأفاق في الخلق الإبداعي ، أما اللغة

---

[1] موندريان - قاموس الفن التجريدي ،ص13

[2] منير حافظ ، مرجع سبق ذكره ص33

[3] منير حافظ ، مرجع سبق ذكره ص75

لديه فهي أداة تشكلية توصيلية للمتلقي ، بيد أن الغاية الموجودة منه في آداب اللامعقول هي المعاني والرموز والأفكارالباطنية التي يتضمنها هذا الوسيط اللغوي، فالبلاغة في اللامعقول ليست قائمة على التنميق والزخرفة القولية لبيان جمال البلاغة وحسن الخطاب فيه ، بحيث أنها تنظر إلى طبيعة الموقف المعالج بشمولية من الناحيتين، الأخلاقية والواقعية من جهة، وقدرتها على التأثير في الوعي الإنساني لإمكان إيصال الفكر إلى المتلقي من جهة ثانية، فالخطاب يعتمد على جملة مكونات "خواص تعبيرية" في الإنتاج الدال أو وحدات تعبيرية تشمل جملة المواقف وتحولاتها في نصية الخطاب، سواء أكان ينحو صوب التجريد أو الرمز أو الحركة [1]. يقول الباحث الألماني لوسبرج "إن البلاغة نظام له بنية من الأشكال التصورية واللغوية، يصلح لإحداث التأثير الذي ينشد المتعلم في موقف محدد" [2]

لا يخرج اللامعقول في لغته عن الزمكانية ، وعلى الرغم من وصف محتوى البلاغة فيه لغة غير معقولة، فالزمان في لغة الخطاب كما يراه منهج اللامعقول يقسّم إلى زمانين.

1-زمن وعي اللحظة، المتحول ضمن نسق "المتوالية المنفتحة" أو ما إصطلح عليه بالصيرورة.

2-زمن وعي الدورة الزمنية للحركة الكونية إثباته ضمن نسق"المتوالية المنغلقة"

قد يبدو لنا في مختلف أشكال التلقي أن هنالك إبهاما خارجيا في التركيب اللغوي للمادة المنتجة ، لكن اللامعاني في الدلالات المعانية يتبدى لنا أن إبهاما داخليا يمتاز بخواص ذات قيم صرفة تفرضها الضرورة الأخلاقية التي تتصف بها أنسنة اللامعقول، وقد لا نلفى الظواهر العامة للقوام النصي متوالية نصية متماسكة ، وإنما نلمس في جوهره مؤشرات دلالية تشكل حزما من الوحدات التعبيرية المترابطة التي تكون الهيكل البنائي الكبير المنفتح على المفاهيم والقضايا الملحة. ومن ذا يسمح اللامعقول للمبدع الخلاّق أن يجسد التحول بكل حرية وفعالية تلك القضايا الشمولية، وبهذا يغدو البناء النصي ذا سمة شمولية بالضرورة [3].

---

[1] المرجع نفسه ص 54

[2] صلاح حافظ، ***بلاغة الخطاب وعلم النص***- العدد 164، الكويت ، 2009، ص99

[3] - صلاح حافظ مرجع سبق ذكره ،ص50

المبحث الرابع :الخصائص الفنية اللامعقول

1-الحرية والتاريخ في مفهومية اللامعقول:

إن التاريخ بنظر اللامعقول لهو من خلق البشر، إنه حاصل نشاطهم وصواعهم التلقائي وغزوهم وصنائعهم وطقوسهم ، ولا يخضع لقوانين ثابتة ومعايير محددة مسبقة تصنع الواقع العياني وفقا لمقتضيات الظروف الموضوعية لكل مجتمع عبر المراحل التاريخية.

إن التاريخ بما أنجزه من صنائع و آداب وفنون لم يبقى منه إلا النذر الخالد. لكن كمّا هائلا قد إندثر وانقبر في لحد التاريخ لمناقضة روح الجمال، والمتتبع بعين باصرة واعية لمسيرة الحضارة البشرية يستنشق أحداثا عظاما حافلة بالصراع السلبي، وتاريخا دونته أصابع عبثية شيطانيه . إن العبث يزول بالتأكيد مهما حوى من جمال يبعث على الدهشة والإبهار والعبقرية، وإن الحرية في نتاج العبث يفقد كل شيء مضمونه المنظم ومصداقيته الواقعية والتاريخية والأخلاقية ، فلا تعد هنالك أنماط ولا معايير ولا قوانين ، والحقيقة الجديرة بالقول: إن اللامعقول غير قادر على منح الحياة معنى للحرية في الخصائص المماثلة، ولا يمنحها أيضا محتوى تاريخيا خلاّقا، وبعدا تراكيبيا عميقا يلهم الأجيال المتعاقبة لإمكان بناء حياة مكونة من القيم الجمالية الواقعية التي تضمن الحرية المطلقة [1].

تبين لنا من خلال الأحداث التاريخية المتعاقبة والتحولات في المنجزات الإنسانية أن اندثار الحضارات يرجع إلى عدم اتسام النشاط البشري بمعاني الحرية المشروطة بالجمال الرفيع وارتباط موات الحضارات بمشروطية القبح والقبح المنظم.

[1] منير حافظ ، مرجع سبق ذكره ص112-118

إن الحرية في التي تصنع التاريخ، والناس حيث يصنعون تاريخهم، فإنما يصنعونه من جملة مفاهيم مستمدة من قيم الجمال الطبيعي ، وإن ممارسة هذه القيم تمنح الإنسانية حرية الفعل المحض الجمالي المطلق، والحرية عكس المشروطية ، والتاريخ الذي تصنعه الحرية الحقة هو تاريخ حر مشروط بالناموس الجمالي ، وفي الإطار العام نجد معظم أحداث ومنجزات التاريخ البشري لا يتضمن محتواه الإنساني معاني الحرية الحقة، وذلك بسبب فقدان القيم النبيلة، وسيطرة القوة الحبرية التي تتصف بالتبعية والغزو، وإنه تاريخ مشروط بالعبثية والإغتراب. ومنهج اللامعقول عبثية اللامعقول جملة وتفصيلا.

إن الوحدة المتمثلة بالإنزواء الفردي في نظر منهج اللامعقول هو نزوح نحو الحرية، وإن التعامل اليومي مع المجتمع هو قيد للروح الفردية كونها تخضع للأنظمة والأعراف والتقاليد والعادات والشرائع التي تحد من ممارسة الفرد لحريته الداخلية، وبالنظر إلى الوحدة المجتمعية نلقى أنها تنضوي إلى نزوع سلبي غير معقول يناقض الوحدة الفردية، وعند تجاوز هذا النزوع يتطلب العودة إلى

الخصائص البنائية بتركيبة المجتمع بكل معاييره وأنماطه ومناهجه عبر نشاطه الإنساني والحضاري والتاريخي، ومنه معان عديدة للحرية نذكر منها:

1. **حرية مطلقة غير معقولة:** تتجاوز في نزوعها قيم الحق والفضيلة والحب والأخلاق في الحياة الدنيا.
2. **حرية مطلقة معقولة:** تتمثل بالقيم الجمالية المستنبطة من الواقع المادي المعاش.
3. **حرية غير معقولة محدودة وزائلة:** تنشأ من دوافع ذات غايات ومصالح ومنافع تنعطف بالإنسانية نحو الفوضى والانهيار دون إرادة أو حرية أو مسؤولية منها.

-إن منهج اللامعقول ينشد بناء عالم حر يكون الفن فيه رائدا روحيا يدعو إلى حياة إنسانية جديدة ، تكون الروح فيها نموذجية أصيلة لها خصائصها الجمالية الفاضلة الثابتة [1].

2- معيار السعاده في فن اللامعقول:

إن تمعنا بدقة في محتوى التاريخ الإنساني ألفينا أن العالم لم يتطور حصرا مما أفرزته وقائع الحروب، وما كانت الحروب يوما تبتغي إقامة صناعات ناهضة بالبنى المدنية والحضارية التي تضمن الأسس الأولية للسعادة ، كانت الحروب بكل صورها ووقائعها

[1] منير حافظ ، مرجع السبق ذكره . ص119-121

البدائية منها والحديثة مكسبا غنائميا، غير أنها خلفت وراءها خرابا للمنجزات. إنه بؤس الخراب اتجاه بناء السعادة ، وإنه من غير المعقول الإقرار بأن الحربين العالميتين في القرن العشرين هي من الأسباب الموجبة في التقدم العلمي والصناعي والثقافي والروحي في عصرنا المعاصر، وتطلعت بكل مسؤولية وجدانية وأخلاقية لتوفير سبل السعادة. وما كانت السعادة قط وليدة حرب ، ولكن من الممكن أن كون الحرب وليدة السعادة القائمة على الترف والمطامع التي تصل إلى درجة فقدان الأخلاق في قلوب التجار الصناعيين ودعاة الحروب. وما اتفق أن اللامعقول يوفر السعادة ، فالحرب عبث مدمر يخلو من كل معقولية. ونجزم بأنه لا تتحقق السعادة مادام الإنسان قابعا تحت ظلال عبودية العبث ودوافع الحبس والممارسات الظالمة والمحدودية الطبيعية والروحية والعقلية وأنواع الإستغلال وأشكال الحروب والأعراف العتيقة....إلخ.

إن الإنسان منفصل،مجزأ،روحه خارج حدود وعيه المادي ، ووعيه محدود ضمن ظواهر عالمه المادي ، جسده معبود لظواهر الطبيعة من جهة، ولهيمنة القوى المستغلة لجهده من جهة أخرى. قناعته وميوله مرتبط بعالم يفرض عليه أنماطا ومعايير إجتماعية وسياسية إقتصادية، وأخلاقية توجه شكل علاقاته ودوافعه وسلوكه. فهل الإنسان يخضع لإرادته؟ هل هو موحد، وأنه النمط المعياري الأعلى لكل الأشياء الكونية؟ [1] .

إن السعادة لا تتحقق إلا بالحرية من عبودية العبث والإغتراب الإنساني عن عالم الجمال، وتحويل فعاليته الأخلاقية بغية الاندماج العقلي في عالم تتحكم في مساراته معايير جماليه موحدة.

يقول ابن سينا: "السعادة تكون إدراك حقيقة الوجود" [2].

3-الحياة تجربة جمالية:

يرى اللامعقول جمالا يقبل الشك أو الطعن أن هناك قوة عالقة عالمة راقية تفوق الوجود الكوني أبدعت هذا العالم العملاق فامتازت بقدرات فنية وتقنية وعلمية وذهنية خارقة خلافا لما نتصوره أو نتأمله أو نفترضه، إذ يجوز لنا تسمية هذه بالإمتيازات الإلاهية حسب مصطلحاتنا البشرية، ومن الجائز أن هذه الأسس قد مكنت هذه القوة من تصميم الوجود وتأليف محتواه بشكل رياضي وهندسي بحكم. وسنّت قوانين حركته ونسقت نظام العلائق

[1] محمد عابدالجابري *مرجع سبق ذكره* ، ص78

[2] - ابن سينا، **النجاة** ،ط1 ،2004، دار النهضة ، ص485

في بنائته وحددت بدقة آجال محتوياته ثم دعته وشأنه يسيّر ذاته بذاته، وقد يمضي التأمل والتفكير والبحث باللامعقول إلى تصورات قد لا تقبلها بعض العقول أو المعتقدات.

ويزعم اللامعقول أن كيانا أزليا فائق الوعي والجمال والقدرة خلف كل الكيانات وهيمن بسحر آخذا على مقاليد الحياة الكونية برمتها، ومن المؤكد لا تدركه العقول ولاتنفذ إلى ماهيته وقدراته وعلائقه وسحره، وذلك لقناعته أن الإنسان حيوان فطري وغريزي محدود القوة والرؤية والرؤى، وضعيف جدا إزاء القدرة الخالقة الخارقة، كما أنه عاجز عن تصور ماهيتها وقدرتها ، كونها قدرة لا تتساوى مع القدرة البشرية [1] .

إن الفن هو الطريق الوحيد إلى فهم مملكة الوجود والعزوف عن الجمال الإلهي ، وبالتالي يفقد إنسانيته، يقول ورجيه فارودي: "لقد كان الفن الخاص في العمل الإلهي للإنسان هو من أظهر كيف يستطيع الإنسان أن يصبح إنسانيا" [2].

ترى فلسفه اللامعقول في أصل الوجود أنه قائم على مبادئ رياضية حسابية بحتة "عدد،كم،حجم،طاقة،شكل..." هذا من حيث البنية المادية الخالصة بناظره مبدأ هندسي"جمالي" فائق من حيث الإنطباع الروحي والذوقي والحركي والإنشائي والفني والذهني ، ولذلك يرى أن الجمال فن هندسي مادي نتج عن هندسة الوعي الإلهي، ويتم الإفصاح عنه عقليا بفعل هندسة الوعي الإنساني، والحق كلاهما لا يخرجان عن نطاق التجربة الجمالية،سواء في النفس أو في الواقع.

إن ميزة الفن هي أنه يجعل توازنا وتوافقا بين النزوع الجسدي مع الطبيعة، والنزوع الروحي مع جمال الطبيعة ، وأن أي خلل مابين النزوعين يرجع إلى عدم التوافقية بين النزوع الروحي والطبيعة ، الأمر الذي ينجم عنه اضطراب عقلي ونفسي لدى الإنسان، ومنهج اللامعقول يهيب بالفنان ويدعوه دائما لأن يغلب الحياة الأجمل، فقد لا يبقى للحرية والسعادة والعدالة معنى جميل في يوم من الأيام [3].

4- الحداثة امتداد الأصالة:

إن الجمال في كل إبداع فني هو ابتكار المستقبل، وخلاف ذلك يغدو الفن ضربا من اللعب والمتعة العابرة، والمستقبل بنظرنا هو الحداثة، وإن الحداثة امتداد الأصالة، ومن غير

---

[1] منير حافظ ، مرجع السبق ذكره ،ص166

[2] روجيه غارودي، ***نحو حرب دينية- تر- صباح الجهيم-***، دار وائل ، ط1. 2002 ،ص185

[3] منير حافظ ، ***مرجع سبق ذكره*** ،ص 178-183

الممكن أن تخرج عن إطارها كونها تخضع لصيرورة التطور، وتقع ضمن مجال الصراع الفكري والسياسي والفني والأدبي والروحي والاجتماعي في كل مرحلة من مراحل التاريخ، وليس هنالك ما يسمى بالثابت في الفكر. صحيح أن الماضي يتجسد في الحاضر، والحاضر يستشرق المستقبل، لكن هنالك حملة ظروف وعلائق ومعطيات وتطورات عبر اللحظات التاريخية المتحددة تترك أثراللتحول الجمالي في المتغيرات الحياتية، لقد أخطأ الشاعر أدونيس حيث قال في كتابه"زمن الشعر" إن تحرر الشاعر العربي الجديد من قيم الثبات في الشعور للغة يستلزم أيضا تحرره من قيم الثقافة العربية كلها [1].

إذا كان أندويس يعتبر في رأيه هذا أن التحرر من مصطلحات لغويه هو تحرر من القيم الثقافية، فهذا يعني الدعوة إلى نسف التراث وليس إلى تفجير التراث وتحطيم الأصالة والمكونات الجمالية والتاريخية والأخلاقية.

هل يريد أندويس تحطيم سطوة الثابت"الدين، الفكر،اللغة،الأخلاق،الأصالة" على المتحول في"الفكر،اللغة،الاخلاق،الحداثة" هل يريد الدعاة أن يمحو ذاكرتنا وثقفاتنا وتراثنا وخصوصياتنا؟ هل يريدون تحطيم ثقافة الشرق ليبنوا على أنقاضها ثقافه الغرب؟ هل يريدون تحطيم الأصالة ليقيموا على أنقاضها الحداثة؟.

يقول الجابري:"لا تستعيد الشعوب وعيها إلا في تراثها" [2]

إن المثاقفة هي تلاقح حداثي يشكل تمازحا وتجانسا أصيلين ، وصياغة جديدة تعني حياتنا الثقافية والمعرفية والحضارية بالقيم الجمالية الحديثة.

إن الثوابت في الثقافة والتراث والفكر والمقدسات. تعيق حينا الحرية ووعي الحرية في أنماط التفكير والخطابات والرؤى،ولكن أن نضع بنى حداثية مستوفية لكل أشكال وعي الحرية دون الإتكاء على الأسس القاعدية للثوابت الجمالية للعقل التراثي في أنماط التفكير والإبداع أمر غير واقعي ومنطقي[3].

---

[1]- أندونيس،**زمن الشعر**، دار العودة،لبنان 1972 ص 18

[2]محمد عابد الجابر،مرجع سبق ذكره ،ص06

[3]منير حافظ ، مرجع سبق ذكره ،ص161

المبحث الأول : تطور الأدب عند نجيب محفوظ

نجيب محفوظ روائي مصري،11ديسمبر 1911-30 أغسطس2006، هو أول عربي حائز على جائزة نوبل في الأدب كتب نجيب محفوظ منذ بداية الأربعينيات واستمر حتى 2004. تدور أحداث جميع رواياته في مصر، وتظهر فيها ثيمة متكررة هي الحارة التي تعادل العالممن أشهر أعماله الثلاثية وأولاد حارتنا التي مُنعت من النشر في مصر منذ صدورها وحتى وقتٍ قريب . بينما يُصنف أدب محفوظ باعتباره أدباً واقعياً ، فإن مواضيعا وجودية تظهر فيه ، محفوظ أكثر أديبٍ عربي حولت أعماله إلى السينما والتلفزيون [1].

سُمي نجيب محفوظ باسمٍ مركب تقديراً من والده عبد العزيز إبراهيم للطبيب المعروف نجيب باشا محفوظ الذي أشرف على ولادته التي كانت متعسرة [2].

ومن أبرز العوامل التي ساعدت على أدب نجيب محفوظ القصصي وعالمه الإبداعي أنه مثال للرجل الدعوب الذي يعجل وفق خطة رسمها لنفسه منذ البداية، ووفق ذهنية تؤمن بالعمل الفني وحاجته الى الصبر والإخلاص والمثابرة ثم النظام والالتزام، وهما عنصران أساسيان في نجاح الكاتب وتحقيق أهدافه.

إلى جانب هذه العناصر ثمة عناصر أخرى تنبع من شخصية نجيب محفوظ أهمها ، صدقه مع نفسه، بالرغم من الظروف التي أحاطت بالحياة الاجتماعية والسياسية، فهي ظروف تحتم على الكاتب أحيانا أن يلتزم سياسة التعافي وغض النظر أن يتفادى التعرض في كتاباته لمشاكل الشك والصراع الداخلي والنقد المترتب عليه خوفا من الضغوط الاجتماعية والسياسية، وبالرغم من هذه الظروف إستطاع نجيب محفوظ أن يخلص في قوله إلى نفسه ورأيه ببراعة

---

[1]يوسف نوفل، ***الفن القصصي بين جيلي، طه حسين ونجيب محفوظ***- ط 1. 1992 ،دار القلم للنشر والتوزيع، ص96.

[2]ابراهيم عبد العزيز، ***انا نجيب محفوظ سيرة الحياة الكاملة***، مصر،ط1 2006، ص31.

كان دفاع نجيب محفوظ عن القصة دفاعا حارا ينبع عن إيمانه بقيمتها التي لا تقل بحال عن قيمة الشعر، بل ذهب دفاعه الذي يقول فيه: إن القصة المظلومة هي "سيدة فنون الأدب دون منازع لثلاثة قرون خلت من أزهى عمر البشرية. وهي الفن الذي جلب إليه أكبر عبقريات الأدب في جميع الدنيا المتحضرة المثقفة"

وأخذ نجيب محفوظ يناقش العقاد بعد ذلك في أن فن القصة لا ينتشر إلا في طبقة معينة، أما الشعر فهو الموسيقى التي تنتشر في جميع الطبقات، وقال إن القصة لا تقل انتشارا عن الشعر، فإن الخاصة التي تقرأ الشعر الرفيع وتتذوقه تقرأ القصة الرفيعة وتشغف بها

ثم عرض نجيب محفوظ أسبابا أخرى هامة تفسر انتشار القصة وتجعل لها هذه السيادة التي وصلت إليها، واهم هذه الأسباب عنده " أن عصر العالم الذي نعيش فيه يحتاج حتما لفن جديد يوفق على قدر الطاقة بين شغف الإنسان الحديث بالحقائق، وحنانه القديم إلى الخيال" [1].

إذن لقد اختار نجيب محفوظ الرواية على الرغم من أنه رجل مقتدر على معظم الأشكال الأدبية, لقد اختار هذا الفن وثبت لديه ووجد نفسه فيه، ورأى أن هذا المجال هو مجاله [2].، وأجاب محفوظ ردا على سؤال وجهه إليه أنيس منصور قائلا: لقد بدأت حياتي بكتابة المقال, كتبت بصفة متواصلة فيما بين عامي1928-1936, مقالات في الفلسفة والأدب في المجلة الجديدة والمعرفة والجهاد اليومي وكوكب الشرق. ثم اهتديت إلي وسيلتي التعبيرية المفضلة وهي القصة والرواية. ولو كنت صحفيا لواصلت كتابة المقال إلي جانب القصة والرواية, ولكني كنت وما زلت موظفا, فلم يكن شيء يرجعني إلي المقال إلا ضرورة ملحة يضيق عنها التعبير القصصي, وأعترف لك بأن هذه الضرورة لم توجد بعد، فأنا لا أعد نفسي من أصحاب الرأي ، ولكنني من زمرة المنفعلين بالآراء

ولم تكن هذه المقالات تدور حول الموضوعات الفلسفية التي كان الكاتب معنيا بها في مطلع حياته الدراسية ، وإنما تنوعت وطوقت ميادين مختلفة، وبحسب إحصائية الناقدين

---

[1] محمد زكي العشماوي، مرجع سبق ذكره ، ص300.

[2] أحمد هيكل ، ***الادب القصصي و المسرحي في مصر*** ، دار المعارف ، القاهرة ط 3 ، 1987 ،ص 264.

منهم الدكتور بدر والدكتور علي شلش، وذكر الدكتور علي شلش في كتابه نجيب محفوظ"الطريق والصدى" أن الدكتور طه بدر قد فاته في إحصائه السابق مقال بعنوان"البيت الكسير الفواد" وهو منشور بمجلة المعرفة القاهره في ماي 1933. وبهذا يرتفع عدد المقالات إلى 38 مقالة، ويمكن تقسيم موضوعات هذه المقالات إلى 9 مقالات في موضوعات فلسفية، و6 مقالات في الاجتماع، و5 في علم النفس و13 مقالة في الأدب و4 مقالات في الفن.

ولقد أجمع الباحثان "بدر وشلش" على أن هذه المقالات لا تخرج عن أربعة محاور، وكانت وما تزال تمثل الخطوط الأساسية في فكر الكاتب وهي:

1-أن حياة البشر ومعتقداتهم محكوم عليها بالتطور والتغيير.

2-الإنسان بطبيعته مؤمن.

3-أن المذاهب الاجتماعية والأراء السياسية يمكن في بعض الأحيان أن تكون لها قوة العقائد الدينية.

4-أن الإشتراكية مذهب المستقبل [1].

ومهما يكن من أمر فإن موحلة المقالة في حياة نجيب محفوظ لم تكن إلا محاولة منه للتعرف على موهبته الحقيقية، وهي كتابة الفن القصصي الذي وجد فيه بعد هذه المجالات الأولى ضالته المنشودة التي آمن بها ودافع عنها. يظهر لنا ذلك بوضوح من مقال لنجيب عنوانه"القصة عند العقاد" وقد كان المقال دفاعا عن القصة وردا على العقاد الذي كان قد كتب في ذلك الوقت هجوما على القصة والإقلال من شأنها أمام الشعر والنقد [2]. التي ينتقيها انتقاءا حذرا وبارعا أشبه بانتقاء الشاعر للألفاظ والتراكيب حتى يخلص الكاتب إلى قطعة منتزعة من الواقع، ولكنها مستخلصة منه كما تستخلص الرائحة من الزهور.

❖ رحلته الإبداعية:

---

[1] سعيد شوقي ، محمد سليمان ، ***توظيف التراث في روايات نجيب محفوظ*** ،دار الكنادي للنشر والتوزيع ، الاردن ، ط1 ، 2000 ، ص305 .

[2] محمد زكي العشماوي، المرجع سبق ذكره ، ص،325

وإذا أردنا أن نتبع رحلة الكاتب الإبداعية التي إستمرت ما يقارب ستين عاما أو أكثر بقليل، فإننا نجد أمامنا بحرا مترامي الأطراف قد لا نستطيع حصره والتوقف الطويل عند جزئياته، ولكننا سنحاول أن تلك إلماما بأبرز ملامح التطور والجدة في فنه.

بدأ نجيب محفوظ الكتابة قبل تخرجه في قسم الفلسفه بجامعة القاهرة بأربع سنوات وقد تخرج عام 1934 [1].فإتجه إلى كتابة المقال عام 1930 ودارت موضوعاته في إطار فلسفي ، وأول مقالاته المنشورة كانت بعنوان "تطور الظاهرة الاجتماعية" . ثم معنى الفلسفة وفلسفة برجسون والإدراك والحواس وغيرها. كما كتب البحث، ومن البحث اتجه إلى التاريخ فترجم كتاب مصر القديمة عن الانجليزية عام 1932 ، وكانت أول رواية يكتبها 1939 وهي رواية"عبث القدر" و "رادوبيس1943" و "كفاح طيبة 1944" وبصدور روايته الثالثة هذه كف عن الاتجاه التاريخي في رواياته وهو اتجاه يستريد تاريخ مصر القديم [2].

وبين أول مقال وأول رواية كان محفوظ مشغولا بكتابة المقالات التي قلت كتابته لها بعد ما انتقل من المقال والقصة القصيرة إلى الرواية، ومع ذلك استمر يكتب المقال بين الحين والأخر إلى عام 1946، ولقد أحصى الدكتور عبد المحسن طه بدر هذه المقالات ودرسها دراسة دقيقة في كتابه الرصين"نجيب محفوظ" "الرؤيا والأداة" واتضح له أنها تبلغ 46 مقالة في الفترة مابين 1930_1946، وقد يكون اسم نجيب محفوظ من الأسماء الشائعة في الأوساط العربية، سواء كانت أوساط المثقفين أم ناس عاديين الذين لا شأن لهم بالأدب وشؤونه.

-سجل نجيب محفوظ ديوانا جديدا ينطوي على فرادة خاصة في الموضوع والأسلوب ولم يكتفي بنشاطه الشخصي، بل حرك الساكن في الكتابة وغير في مراتب أجناس الأدب وجذب جمهورا كبيرا في مصر والعالم العربي، وشجع بإنتاجه المتميز حركة النقد العربي التي وجدت في نتاجه كنزا لنشاطه ، وكان مثل جده المتنبي واحدا من المبدعين المتعددي التأثير والفعالية ،وغدا بكل هذا عنوانا أدبيا للقرن العشرين...فيما يستمر في مستوى الحياة

---

[1] إبراهيم عبد العزيز، مرجع سبق ذكره ، ص53

[2] عبد الرحمان ياغي، ***في الجهود الروائية- من سليم البستاني إلى نجيب محفوظ،*** دار الفارابي، ط1. 1999. ص182.

صيفا أنيقا هادئا على القرن الحادي و العشرين مثلما يستمر سحره الأدبي بعد تطور السرد العربي، وتقدم نقد السرديات بتأثير من عوامل متعددة [1].

ومن أهم العوامل التي ساعدت على تحقيق حريته وبروز شخصيته وفكره في كل ما كتب وعلى الرغم من عدم توافر الحرية السياسية في بعض مراحل الحياة. الأمر الذي كان يعوق الكاتب ويخلف جوا الخوف إلى أن اعتادوه وألفوه حتى أصبح العقلي أحيانا ميزة من ميزات حياتهم وهم لا يشعرون... وعلى الرغم من ذلك استطاع نجيب محفوظ أن ينجو بنفسه وحريته بطريقته الخاصة متعمدا أحيانا على أساليب فنية من الرمز والإيحاء للتعبير عن رأيه وفكره بأمانة متخطيا الحواجز والعراقيل [2].

المظاهر العامة التي ساعدت نجيب محفوظ على بلوغه هذه المكانة التي حققها محليا وعالميا، إشتغاله بالأدب وإنقطاعه عن الكتابة القصصية هذه السنوات الطويلة قد أكسبه مخيلة نشيطة وحيه بل متدفقة، وهذه المخيلة النشيطة قد يسّرت له القدرة على معاشية الغير وإدراك حالاتهم، وبالتالي فهمهم وحبهم في وقت واحد. لذلك كان نجيب محفوظ في معظمه يكشف عن محبته الإنسانية ، إذ كان حرصه شديدا على التوجه إلى الإنسان فيما يكتب متفاعلا معه ومحبا له [3]. وتعتبر الثنائيات لنجيب محفوظ منشأ التوتر والقلق ومنشأ الصراع الخلاق في أدب نجيب محفوظ إذ تملأ عالمه الفني، والتي تجمع بين قطبين في الحياة وهما الجماعة والفرد، الخير والشر، القانع والثائر، المؤمن والمتشكك، الرافض والمسلم، وبين الإيمان بقومه ومسيرته والإيمان بعزة الإنسان.

جاء نجيب محفوظ بعد أن استقر مفهوم الرواية، وبعد فترة طويلة من التجارب، وبعد التخبط قرونا في خصم السفسطات اللغوية. وبعد هذه المراحل من فن الكتابة أدرك نجيب محفوظ أن عالم اليوم "بعد التطور الذي حققه فن الرواية في القرن العشرين" هو عالم لابد فيه للكاتب أن ينزع إلى محاولات جادة في فهم النفس والشخصية والتعمق في الوضع الإنساني وأزمات الإنسان المعاصر وإختراق معاني الظلم والقسوة والشر والدعوة إلى العدالة الإنسانية والحب وتقدير دور العلم في تطوير الحياة وبناء الإنسان.

---

[1] يوسف ابو العدوس ، ***نجيب محفوظ- رؤيا وموقف***، دار الجرير للنشر التوزيع، ط1، 2005. ص15

[2] يوسف نوفل، مرجع سبق ذكره ، ص 101.

[3]- المرجع نفسه. ص105

ومن مزايا نجيب محفوظ والتي كان لها أثر بالغ في فنه القصصي والروائي على السواء أنه كاتب يتكلم بصوته ويرى بعينه ويعيش مصر في كل كلماته، يحب مصر في أشخاصها وأجوائها ومتناقضاتها ... وكل ذلك في براءة وبراعة [1].

أما تناوله للواقع الذي كان له ألف وجه يصدمنا كل مرة على نحو جديد.... هذا الواقع المضطرب المتعدد الجوانب والمتحول في سرعة مذهلة في عصرنا الحديث قد تناوله نجيب محفوظ مسخّرا فنه في التحكم فيه وبلورته وتكييفه للتفاصيل، لذلك فمجالي هو الفن لا الفكر...قضى ربك أن أكون من أصحاب القلوب لا العقول، ولامناص من الرضا بقضاء الله [2].

من هنا استقر نجيب محفوظ وعرف طريقه إلى ميدان القصة القصيرة وقطع في كتابتها شوطا كبيرا يقرب اثنتي عشرة سنة، وقد أحصى النقاد لنجيب محفوظ 74 قصة قصيرة كتبها ونشرها في الفترة من 1932/1946 [3].

بعد مرحلة القصة والمقالة تأتي مرحلة الرواية، ولم يكن الطريق إليها سهلا، بل كان مليئا بالعثرات على حد قول نجيب محفوظ بنفسه حيث يقول إجابة على سؤال الدكتورة فاطمة موسى عن تطور الرواية العربية : "كان دور جيلنا من الروائيين تأسيس الفن الروائي وتأصيله في البيئة العربية وقد سرنا في طريق مليء بالعثرات لأننا لم نجد تراثا عربيا نعتمد عليه ، لقد سبقنا جيل الرواد وقدم كل رائد عملا أو عملين درسناها بفطرة لا تستند إلى علم، ودون أن تُعرف مواقعها من التراث الروائي الضخم الذي كان مجهولا لنا، ولقد قمنا برحلة طويلة وارتطمنا بأخطاء بدائية وتخبطنا كمن يسير معصوب العينين
وكان علينا أن نغوص في واقعنا وأن ندرس فن الرواية وأن تؤلف في وقت واحد[4].

وقد حكى نجيب قصة كتابة أول رواياته التاريخية وهي "عبث الأقدار" وقد ذكر أنه كان يترجم كتاب"مصر القديمه" مستوحيا نصيحة أستاذه سلامة موسى، وكان بالكتاب حكاية

---

[1]- عبد الرحمن ياغي ، مرجع سبق ذكره ، ص 185

[2]مصطفى تواتي ، ***دراسة في رويات نجيب محفوظ الذهنية – اللص – والكلاب – الطريق – الشحاد***
،دار المعارف للنشروالتوزيع ،ط2(1993 ، تونس) ط3(2008، لبنان)، ص41

[3]- محمد زكي العشماوي، مرجع سبق ذكره ، ص306

[4]- المرجع نفسه ص320

عن قارىء الغيب الذي تنبأ ثم لم تكتمل المكانة نظرا لفقدان ورقة البردئ التي كتبت عليها، فتخيل تكملة لها في روايته هذه. وكان من مواكبة الحركة الفكرية والقومية في مصر وما يحيط بها من تفكيره الفلسفي المتأصل ما دفعه إلى الرواية الفنية التي تعالج الواقع المعاصر وتتناول قضاياه، مما دفعه إلى هجر المنهج التاريخي الرامي إلى تناول العصور القديمة إلى منهج واقعي يمتزج أحيانا بالرومانسية منذ روايته القاهرة الجديدة عام 1945، خان الخليلي 1946، زقاق المدق 1947،

والجدير بالذكر أن هذه الرواية تعد أسبق رواياته إلى كسب الشهرة الأدبية وتقديمه إلى القراء وصنعت أكثر مما صنعته سابقتها التي فازت بجائزة مجمع اللغه العربيه، ثم تلتها السراب 1948 ثم بداية ونهاية 1949 ثم الثلاثية" بين القصرين وقصر الشوق والسكرية" 1956 وغيرها من الروايات ،وقد صدر من هذه الروايات طبعات عديدة بلغ بعضها تسع طبعات [1].

إن كتابات نجيب محفوظ بحور يصعب علينا دراستها كاملا في بحث واحد، فإنتاج الكاتب كثيرا وهو متنوع ومتعدد الجوانب يحتاج الى جهود متصلة ومضنية حتى تلم بأطرافه وتسبر أغواره. نستطيع أن نقسم المراحل التي قطعها نجيب محفوظ في رحلته الطويلة مع الرواية والقصة القصيرة إلى المراحل الآتية:

1. **المرحلة التاريخية:**وتظم هذه المرحلة ثلاث روايات وهي:"عبث الأقدار"و "رادوسير"و "كفاح طيبة" وهذه الروايات تدور حول أمال مصر في الإستقلال وتحقيق العدالة الاجتماعية عن طريق الثورة على النظام ورفض القهر والإذلال، فكان نجيب محفوظ في هذه المرحلة يعبّر عما يعانيه المجتمع المصري من إستغلال وعبودية في ظل الحكم الانجليزي الظالم والأنظمة الفردية الطاغية، ومترجما لشعور المجتمع المصري الاجتماعي الوطني الثائر في تلك الفترة. وكان نجيب محفوظ في هذه المرحلة متأثرا بالتيار القومي الفرعوني الذي اتجه إليه كثير من المصريين في ذلك الوقت كرد فعل للنفوذ والاحتلال البريطاني في البلاد المصرية.

[1] عثمان البدري ، **وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ.**، ب ط، ص 65

وهذه الروايات الثلاث تصور الشخصية المصرية في حقيقتها التاريخية وبعدها الاجتماعي الحضاري . وفي رواية "عبث الأقدار" نجد الإنسان يقاوم قدره ويتحدى مصيره المحتوم، فلا ينتهي إلا إلى مزيد من الاقتناع بالحكمة الإلهية. ويطرح نجيب محفوظ في هذه الرواية أسئلة عن معنى الإنسان والحرية ودلالة التاريخ، وفي رواية "رادوبيس" نرى الإنسان يستسلم لمصيره، وفي رواية" كفاح طيبة" نجد الإنسان أمام موقف جديد من صميم تجربة الحياة، وهذا الموقف هو خاتمة التجربة أو الموت.وقد ركز نجيب محفوظ في هذه الرواية على مفاهيم التحرير وجعل الحب المستحيل معادلا للنصر على الأعداء.

-ومجرد استلهام نجيب محفوظ التاريخ الفرعوني فان هذا دلالة على أن نجيب يتخذ موقفا مما يحدث في وطنه، وقد برع في تلك الفترة في تركيب الحبكة الروائية وحكاية المؤامرة ووصف المعارك الحربية ونسج خيط الغراميات وعواطف الأفراد في نسيج الأحداث الهامة التي تتعلق بمصير الأمة، وقد استمدت هذه الروايات موضوعاتها من الواقع ودارت معظمها حول إدارة القدر . ونجيب محفوظ وهو يكتب روايته من التاريخ يتجه نحو الواقع الاجتماعي الذي يعيشه شعبه، وقد تسنى للروائي الكبير نجيب في هذه المرحلة أن يقوم بدور المؤرخ وعالم الاجتماع الذي يروي عن مصر التي خرجت من العصر المملوكي ودخلت العصر الحديث [1]

2. **المرحلة الواقعية**: مابين 1945-1957: وقد اهتم فيها برسم صورة الفساد النظام الاجتماعي القائم في مصر أنذاك الذي لم يحترم الفرد ولم ينشغل بأمره ، بل تركه للظروف والمصادفات يعاني مصيره الفردي دون عون أو دعم أو كفالة، وقد كتب الروائي في هذه المرحلة روايات اجتماعية هي "القاهرة الجديدة-وخان الخليلي-زقاق المدق-السراب-بداية ونهاية ثم الثلاثية" [2]، وفي هذه المرحلة شكل نتاج نجيب محفوظ الأدبي تعبيرا إيجابيا عن حركة الواقع في المجتمع متظمنا نقدا لأوضاعه السياسية والاجتماعية والاقتصادية، حيث دارت معظم أحداث هذه المرحلة من الأحياء الشعبية، وفي روايات هذه المرحلة نجد نزعة إلى التحرر من أسلوب السرد الخطاب ونزوعا نحو إغناء الحوار الداخلي والتصوير الغير مباشر للأحداث، وقد

---

[1] يوسف نوفل ، مرجع سبق ذكره ، ص95-102.

[2] عودة الله المنيع القيسي، **نجيب محفوظ نماذج الشخصيات المكررة ودلالاتها في روايته**، جمهورية مصر العربية، ط1، 2004 ص 15

اتصفت هذه المرحلة بالرغبة في التحرر من القوالب المعدة سلفا، وقد نحت الرواية منحنا جديدا ركزت على الزمن والمكان باعتبارهما يشكلان محورا للرواية [1]. وقد جرب نجيب محفوظ الواقعية النفسية في رواية"السراب" ثم عاد إلى الواقعية الاجتماعية مع رواية"البداية والنهاية" ورواية ثلاثية "القاهرة" واتجه الروائي نجيب محفوظ إلى الرمزية في رواية"الشحاذ" ورواية"أولاد حارتنا" التي سببت ردود فعل قوية خاصة من الهيئات الدينية وكانت سببا في التحريض على محاولة اغتياله.

دخل نجيب محفوظ مرحلة الواقعية الاجتماعية بسبب إستعداد سابق نجده في مقالات الفلسفية وترجماته ، ثم بتأثير الحرب العالمية التي فرضت مشكلاتها على المثقف المعاصر حينها، ونتيجة وعيه بدوره الاجتماعي ونضجه الفني معا [2]، فضلا على أنه كان قد حزم أمره واختار بين الفن والفلسفة، فأثر الفن بعد أن أوشك على إعداد رسالة الماجستير في الفلسفة، وقد اتباع ذلك إتساع قراءاته في الأداب العالمية، فاتخذ الأسلوب الواقعي عن اقتناع، ومن ثم كان لقائه بالواقعيين من أمثال بالزاك وديكنز ودستويفسكي وغيرهم، وهؤلاء جميعا لهم مواقفهم القاسية من مجتمعاتهم، والمتشائمة من الإنسان، لأنهم يعبرون عن الحضارة الأوروبية المادية المأزومة التي جعلت هدفها تحقيق رفاهية الجسد وراحته وافساح المجال أمام العقل، أما واقعية نجيب محفوظ فكانت الحرب والظلم الاجتماعي للطبقة الوسطى والدنيا

محور الأفكار والصور الأساسية التي شغلت أديبنا في بداية المرحلة الواقعية [3].

ونظرة الواقع في تلك الفترة كان يمثل عند نجيب محفوظ إعطاء رؤية خاصة لوضعي اجتماعي خاص يثير الكاتب ويلهمه ، وأحيانا ما يحاول إقامة جسر بين خضم الأفكار السياسية، وبين حياة أشخاص يحاولون التوفيق بين واقعهم وبين نضالهم السياسي وسعيهم للحرية، ونجيب محفوظ لايحاول تجاهل الواقع اليومي، ونعني به ما يجري أمام أعيننا في

---

[1]- إدريس قصوري ، ***أسلوبية الرواية مقاربة أسلوبية برواية زقاق مدق لنجيب محفوظ***، دار المعارف ،ب ط ، 2002، ص 308-311

[2] محمد غنيمي هلال ، النقد الادبي الحديث ، دار النهض ، مصر 1977 ،ص 120.

[3]عبد الرحمن ياغي ، مرجع سبق ذكره ، ص 205

حياتنا اليومية، بل ليلتقطه بعين يقظة قادرة على تحقيق الصدق فيما يبسطه من تفاصيل يلاحظه بمنطقة وفكره.

وكثير ما تكون هذه التفاصيل المنبثقة من الواقع هي السبيل إلى تصوير الحدث والشخصية، والتفاصيل هي التي تبني كلا من الحدث والشخصية، ومن هنا يكون تنامي الشخصية من الداخل [1]، وثمة ملمح أخر في إتجاهه الواقعي الاجتماعي، وهو المعاني الكلية التي يحملها الحدث أو الشخصية، فثمة أبعاد تتجاوز المحلي والجزئي للتعبير عن سمات اجتماعية او النسائية عامة أو سياسية، أو للتعبير عن سخرية القدر أو للدلالة على أن هناك قوى الإنسان هي التي تدبر الأمر وتقدره.

تعتبر ثلاثية نجيب محفوظ قمة المرحلة الواقعية الاجتماعية وتتويجا لها ، كما تمثل فاصلا بين مرحلتين متميزتين في الاتجاهات الفنية والأسلوب عند الكاتب، وكانت مرحلة الأربعينيات التي تعني بتقديم جوانب الحياة المختلفة بأسلوب واقعي.

كما اهتم هذا الاتجاه بوصف الزمن عنصرا هاما من عناصر الحدث الروائي يؤكد واقعيته، كما يكشف عن الإحساس بقيمة الزمن، واختلاف هذه القيمة من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل، وقد رافق عنصر الزمن البعد المكاني وذلك لكي تكتمل للحدث الروائي قيمته الواقعية، وإلى جانب ذلك تميز هذا التيار الواقعي بالأداء اللغوي الذي يستخدم لغة مباشرة دقيقة بعيدة عن أثقال التراكيب المصطنعة وتحمل في داخلها شحنتها المستمدة من الحياة اليومية، فهدف هذا الإتجاه هو إصابة الزمن بالتعبير عن المحتوى والواقع بأبسط الأساليب

وقد حكمت هذه العناصر مقادير لهذا الإتجاه عند نجيب محفوظ الذي لم يتخل عن واقعيه في تصوير البيئات المحلية [2].وجاءت الثلاثية في النهاية لكي تصل بهذا الإتجاه إلى تحقيق مرحلة ناضجة من الإبداع الفني والتأمل الفكري والاجتماعي والتنوع في عرض النماذج والأحداث ورصد العديد من الصور للحياة الاجتماعية، وقطاعات المجتمع على اختلاف ببئاتها ومستوياتها وتطلعاتها ، كما تعرض الثلاثية هذا في صراع متشابك يرصد التغيير والتجديد ويتعمق الجوانب النفسية والفكرية، كما ينشد التوافق والتوازن الفني والاجتماعي

---

[1]- يوسف ابوسعد، ***نجيب محفوظ الرؤيا والموقف***، دار الجرير للنشر والتوزيع- ط1 ،2005. ص35-36

[2]يوسف نوفل ، مرجع سبق ذكره ص125

على حد سواء، وتتألف الثلاثية من ثلاثة أعمال متدرجة تاريخيا هي :"بين القصرين" التي يحصر التاريخ وقائعها وأحداثها في زمن معين ومرحلة تاريخية محددة، بحيث تبدأ بتولي الملك فؤاد السلطة وتنتهي كذلك يحدث هام ألا وهو عودة سعد زغلول من منفاه ومظاهرات إنتصار ثورة 1919 كما تنتهي بحدث روائي خطير هو قتل فهمي إبن السيد احمد عبد الجواد، وفهمي هو الفني المناضل الوطني والمكافح ضد قوى الاستعمار والسلطة،وتنحصر أحداثها بين 1917-1919، أما قصر الشوق فتمثل المرحلة الثنائية وتبدأ تاريخيا بسفر سعد زغلول للمفاوضة وتنتهي بوفاته، فهي تنحصر تاريخيا بين عامي 1923-1927 أما "السكرية" وهي الجزء الثالث والأخير من هذا العمل الكبير فتبدأ بخطاب النحار في مؤتمر وفدي ثم تنتهي بإعتقالات سياسية للإخوان المسلحين والشيوعيين أثناء الحرب العالمية الثانية، وتقع أحداث السكرية مابين عامي 1930-1944 [1].

هذه الأعمال الثلاثة تنطوي على عالم تنديد الخصوبة وارف الأثمار والظلال تصل بالمحتوى الاجتماعي والفكري والنفسي إلى درجة عالية من التقنية الفنية والقيم الفكرية في وقت واحد. يقول الدكتور زكي نجيب محمود " لقد طفر نجيب محفوظ بفنه طفرة عالية بعد ثورة 1952" إذ وسع منظوره الفني توسعة استطاع بها أن ينظر إلى تاريخنا القوي الحديث كله ، وكأنه ينظر إلى مشهد واحد، وطفق يصوره تصويرا بارعا فيه حيوية وبناء أدبي محكم، ومن خير الأمثلة لفنه الجديد ثلاثية صور بها ثلاثة أجيال تتابعت في أسرة واحدة منذ ثورة 1919 ليبرز في تطورها خلال الوالد والحفيد معالم تطورنا جميعاً في عصرنا الثوري الجديد.

نعم هنا تكمن عظمة الثلاثية، وانها تابعت حياة أسرة واحدة لفترة طويلة من الأحداث والتقلبات، انها فترة شهدها الوالد والولد والحفيد استطاعت أن تكشف لنا عن وحدة عميقة واستمرار حي للوجود البشري عبر مكان وزمان معين، والقارئ ينتقل من صورة إلى صورة ويساير وجود حياة اجتماعية بكل الوانها تساير الزمان من لحظة إلى أخرى

كما تكشف عن بعض الضرورات الكامنة لقمحات فاصلة واضحة وتتغلغل في حنايا نفوسنا وقلوبنا وتصبح لدى الفنان ذات إمتداد أفقي عمودي، عمقي وزمني تسيطر عليها تلك

[1] حسين العيد ، ***نجيب محفوظ رواية مجهولة وتجربة فريدة*** ، دار النهضة ، ط 1 ، 2002 ص125-126.

السكينة والهدوء والوراعة والعذوبة والتمرد والثورة المكبوتة وتعبئة الفراغ، وتجعل من هذه المتفرقات والمتباعدات تجربة وخبرة حية كثيفة معقدة وممتعة في آن واحد [1].

هنا تكمن عظمة هذا الرجل الذي استطاع أن يحقق درجة عالية من التوازن بين هذه الأضداد في إيقاع مقسم موزع يتخذ فيه الكاتب البارع من تحولات وتغيرات المواقف والأحداث التي تمر بطيئة أمامنا عملا مكتملا واضح المعالم، وإن هذه جميعها شواهد على انضباط وسائله التكنيكية والتعبيرية ويصطنع ما يصطنع ليعبر عن الإنسان ومشاعره وانفعلاته وافكاره ومعتقداته ولايختل معها البناء أو يتزعزع. أليس هذا من قدرات نجيب محفوظ!؟.قد يحدث هذا في عمل محدود المساحة ومحدود المكان، وإما ان يتم له هذا الإتقان في عمل يشهده الجد والحفيد،ولكن الأمر يختلف [2].

3. **المرحلة الرمزية**: وتبدأ بروايه أولاد حارتنا وتتصل في رواية اللص والكلاب، والسمان والخريف، والطريق ، والشحاذ، وثرثرة فوق النيل وميرامار [3].

في هذه المرحلة نجد أن نجيب محفوظ تناول التعبير الرمزي في رواياته واحدث مظاهر التغيير في التعبير والتشكيل فاعتمد على طرح الأفكار من خلال الاستيطان الداخلي للشخصية ، وتداعي الأفكار والمنولوجات الداخلية للشخصية وما تثبته من مواقف إنسانية وفكرية معينة تعبيرا عن حالات سياسية واجتماعية ونفسية وعن تأملات في الحياة والوجود، وكل هذا منتزع من واقع الحياة ومن ظروف الشخصية أو الشخصيات التي يتناولها، وإذا أخذنا في اعتبارنا أن الاستقراء الشامل لأعمال نجيب محفوظ في هذه الفترة ينتهي إلى أن بنية الإخفاق كانت تهيمن على بعض أعماله. صحيح أن شعور الإخفاق كان ملازما لشعور التفاؤل غير أن بنية الإخفاق قد برزت في هذه الفترة على المستويين الفردي والاجتماعي على السواء، ومع ذلك فقد كان الشعور الفردي الظاهر في بناء الشخصية القصصية طاغيا.وعلى هذا الأساس يمكننا فهم عناصر الدلالة من مفردات ورموز وصور وهي جميعها تصب في حقل مختلف، وهي بنية تعتمد على نمط ينظر إلى العالم والمجتمع

---

[1]- نبيل حداد ، ***نظرية في رواية المصرية*** ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، الأردن ، ب ط ، 2000 ص 51-53 .

[2]- المرجع نفسه ص60 .

[3]-مصطفى التواتي –مرجع سبق ذكره ص35

من خلال الإنسان، والمقصود أن هذا النمط إنما يقدم إنسانا في الأساس يعرف للعالم المحيط سواء أكان مجتمعا أم عالما أكبر،

فالمحتوى هو ما يدور في باطن الإنسان متفاعلا مع الحالة التي يعيشها، ومع ذلك فإن الواقع المعيش ظل هو المنبع في أكثر الحالات، ومنه تصدر الأفكار والتأملات وربط الواقع بالممكن والمثال [1]. نأخذ على ذلك مثلا"الشحاذ" التي تقوم على شخصية ذلك الذي يقف موقفا حائرا يقوم على الشعور بالإحباط، وعلى محاولة لفهم هذا الشعور في نفسه، فقد كان من أنصار ثورة 23 يوليو ، وقد ابتهج بها كما ابتهج كثيرون غيره، لأنها ثورة تقوم حققت للناس ما كانو يتطلعون إليه ولم يستطيعوا تحقيقه، فإذا هو يتحقق، ولكنه يرى نفسه بعد ذلك في موقف جديد وهو موقف الإنسان الذي يؤمن بقيمة كبيرة فإذا هي تتحقق على يد آخرين. إنه كان يود أن يكون شريكا فاعلا لعمل من أجل البناء والتغيير ويكون عضوا كاملا من أجل تحقيق الثورة وانجاز مبادئها . هذا ما كان يملأ نفسه ويحلم به، لكنه يرى أنه مجرد متفرج وان غيره هو الذي يتولى عنه المهمة، فإذا هو يصحو فجأة على حقيقة مرة وهي أنه ثائر بلا عمل [2].

هذا هو سر المشكلة تكمن في أنه يحب الثورة ويكرهها في آن واحد، يقول الدكتور الرامي في تحليله الرائع لشخصية عمر في أثناء تناوله لمسرحية الشحاذ في مقال سماه"مأساة الثائر الفرد" : "إنما يغيظ عمر من الثورة أنها تربطه إلى الزمان والمكان، وهو يريد أن يحلق فوقهما ، واشد ما يغيظه انه لا يمكن أن يثور على الثورة لأنها جزء منه لا يستطيع الانفصال عنها، لكن في الماضي كان يسعه أن يثور وينفصل، لأنها ملة روحية لم تكن تقوم بينه وبين المجتمع القديم. أما الآن فما عذره في الانفصال!!.

يلفت إلى ذاته ويفتش فيها ويقول: "العلم هزم الفن. والشعر خنقه الانجاز، والحب أصبح حجة شرعية، والعقل افترس الجنون. فاتركوني أفراد من القالب ودعوني أتخطى الحدود [3]، والمحور الأساسي في الرواية أشبه بمونولوج داخلي يكشف عن عواطف الصراع الداخلي في موقف عمر حين يقف وجها لوجه أمام نفسه يكاشفها ويخرج ما فيها، إنه وضع

---

[1]عبد الرحمن ياغي-مرجع سبق ذكره ص 209.

[2]- يوسف نوفل- مرجع سبق ذكره ص 85

[3]علي الراعي- **مجلة الهلال- مأساة الثائر ،الفرد عند نجيب محفوظ فبراير 1970 ص 87**

الإنسان الذي حدد مكانه وكان يحلم بدور يقوم به فأصبح بلا دور، فهو أشبه بنهر متدفق لا يجد مثله فيرتد بقوة تزلزل أركانه حتى يكاد يتحول إلى شظايا.... إنه في الوضع المستحيل أو في دوامة الأزمة التي لا تجد حلا.

هذا مثالا للحل من أعمال نجيب محفوظ في هذه الفترة يعتمد على شخصية فردية يخلع عليها إحساس شريحة كبيرة من المجتمع الذي عانى نفس الأزمة ويجسدها، وهو وضع قد نراه في أبطال ثلاثية وغيرها ، ولكنه هنا وفي هذه المرحلة يأخذ شكلا بنائيا دلاليا مختلفا ، الإنسانية قائما والاهتمام بالصراع النفسي الداخلي السائد ، ويحتل الحوار جانبا أساسيا هاما في الكشف عن عالم الشخصية [1]

المبحث الثاني : أثر الأدبي الغربي في نجيب محفوظ

إن قضية التأثر بالحضارة الغربية لم تقتصر على النزعات السياسية والاجتماعية، بل تجاوزتها إلى مراجعة الوقف من التراث القديم، وكان من نتيجة ذلك أن ذهب الكثيرون إلى إنكار جذور الفن القصصي في الأدب العربي القديم.

ولهذا ظهر التأثر المباشر بأصول الفن الروائي في اللغات الأجنبية وانعكس عليه تعدد تلك اللغات وظهر تأثر واضح بشكسبير وتولستوى ودستويفسكي ونشيكوف وبروست وتوماس مان وكافكا، ومن المسرحيين الذين تأثر بهم نجيب محفوظ، أونيل ووابسن وسترندبرج وغيرهم [2].

كما أن شغف نجيب محفوظ بالثقافة الغربية جعلته ينكب عليها وينهل منها محاولا الاستفاد منها بشتى الطرق، ومن أهم الدوافع والأسباب التي جعلت نجيب محفوظ يبحث في خبايا الأدب الغربي لعله يجد فيها مبتغاه أو شعوره بأن الأدب الغربي ربما استطاع أن يحقق ما يطمح إليه، ومن بين الأسباب التي أدت إلى تأثر نجيب محفوظ بالأدب الغربي هو تسرب النفحة الوجودية إلى ساحة الثقافة العربية بعد الحرب العالمية الثانية.

---

[1] مصطفى تواتي ، مرجع سبق ذكره ، ص 65 .

[2] يوسف نوفل، مرجع سبق ذكره ، ص21.

-لقد تأثر نجيب محفوظ بمدارس الغرب الثلاث وهي: المدرسة الوقعية الفرنسية المتمثلة في بلزك وفوبير. والمدرسة الطبيعية في زولا، والمدرسة للروائيين الادواردبين مثل جلزودي وجنيت [1].

المبحث الثالث :مظاهر اللامعقول في رواية ثرثرة فوق النيل

تعد رواية "ثرثرة فوق النيل"من الأعمال التي أثارت كثيرا من المناقشة والجدل بين النقاد من يوم ظهورها إلى اليوم لطرافة بنائها من ناحية،ولما تنطوي عليه من قضية هامة و هي تبدد الفكر غياب الفعل ،و العقل معها. والإكتفاء بالثرثرة حيث تنتقل من حياة الفعل والعمل وقوة الإرادة إلى نوع من بعثرة الفكر داخل أربعة جدران في شبه هذيان.إنهم أفراد معزولون داخل عوامة تختلف طبائعهم ونزعاتهم وقدراتهم الفعلية.وهم أفراد معذبون بشعور مريض نتيجة للنفس المظلمة المضطربة التي لا تجد نفسها متوائمة مع المجتمع الذي تعيش فيه ، ونتيجة لوفرة الأسس السلبية التي تحمل الفرد على مقاومة المجتمع،' إنهم مثقفون لكنهم إنعزاليون ، رفعو عن كاهلهم تحمل المسؤولية ،وفقدو الإيمان بكل شيء بالدين والأخلاق والقيم ،"السفينة تسير دون الحاجة إلى رأينا ومعاونتنا ،وأن التفكير بعد ذلك لن يجدي نفعا ، وربما جرو وراءه ،الكدر وضغط الدم".'

أصبحو يشعرون أنهم سجناء حياتهم ،وأنهم غير نافعين للمجتمع الذي يعيشون فيه.ومثل هذا الوضع يجعل الأفراد يبحثون عن مكان مريح فلا يجدونه ،فيحز الألم في نفوسهم وتكون العاقبة إما أن يتلاشى هؤلاء في صلح مزر مع مجتمع يبغضونه أو في تعاطي المخدرات ،

[1] عودة الله منيع القيسي، مرجع سبق ذكره ، ص20.

وربما الإنتحار ،على أن مجتمع العوامة هذا لم يكن يحتوي على كل هذه العناصر السلبية الضائعة المتشائمة ونصف الواعية ، وإنما كانت تشتمل على شخصيات تحمل بعض الاتزان وتمثل قوة الثبات والديمومة والأمل في البقاء -بقاء الحياة ،وبقاء الخير والأمل في البعث من جديد[1].

وجمع الكاتب هنا عدد من الشخصيات المثقفة ،منهم الأديب والمحامي ،والممثل ،والصحفي ،والموظف، وإن كانت الرواية تعتمد على "أنيس زكي"الذي نتلقى مأساة الإنسان في هذا الكون على يديه ومن بين أقواله ،والذي هو أشبه بشخصية البطل الفرد المحطم ،غير أننا نجد أن هذه الشخصية كثيرا ما تحمل هي وغيرها من الشخصيات بذورا مختفية وغائرة ،وغير واعية في أغلب الأحيان ، وربما كانت تجمع بين الذاكرة اللإرادية والتذكر الإرادي في وقت واحد[2].'

وتقول الدكتورة لطيفة الزيات في وصف عناصر البناء في "ثرثرة فوق النيل ": "وإذ إنتقلنا من الأسلوب إلى البناء ، لوجدنا نفس التشابه مع توافر الاختلاف ."فالثرثرة" تبدأ هي الأخرى من نقطة بداية محددة وهي تنطوي على أكثر من رحلة على المستويين المعنوي والمادي ،تتضمن كل منهما أكثر من إكتشاف. فنحن إزاء المرحلة الليلية التي يقلع فيها رواد العوامة من خلال المخدرات، ورحلة "أنيس زكي " السطول الأبدي عبر التاريخ ، ورحلة سمارة بهجت " فتاة المبادئ والطبقة الوسطى[3] ، والرحلة المادية التي تجسم هذه الرحلات جميعا، والتي تنتهي بمصرع إنسان بسيط تحت عجلة السيارة.

---

[1]مصطفى تواتي ،مرجع سبق ذكره ، ص81 .

[2]محمد زكي العشماوي ،*مرجع سبق ذكره* ، ص 85.

خاتمـة

مكنتنا هذه الدراسة لظاهرة اللامعقول -كما تجلت في الآداب العالمية-من تحقيق ذلك الإفتراض الذهني بوجود نموذج أدبي لظاهرة ألامعقول في أدبنا العربي الحديث ،وتحديدا عند" نجيب محفوظ "الأديب الكبير ،وثبت عندنا هذه الظاهرة ليست محلية ،مرتبطة بالمحيط الذي تولدت منه ،ألا وهو المجتمع الغربي وحسب ،بل إنها ظاهرة إنسانية عامة ،مرتبطة بحضارة العصر .وليس خفيا أن صانع هذه الحضارة هو الإنسان الغربي ،لكنها في بعدها الشمولي ،امتدت تأثيراتها إلى بقية المجتمعات الأخرى ،ومنها المجتمع العربي ،فلقد أصبح العالم كله ،في عصر التقنية ، متغربا ،وكان طبيعيا أن يتأثر المثقفون العرب بهموم هذه الحضارة ومشكلاتها في تفاعلهم مع ضرورات العصر .

وهو نموذج دراستنا -فلقد كانت شخصية نجيب محفوظ تحمل أعراض اللامعقول ولذا رأينا من الواجب أن نخصص ففصلا نتناول فيه مفهوم اللامعقول .وقد اعتمدنا في شرحنا لهذا المفهوم على آراء يونسكو وبعض الأدباء ،فاجتمعت لدينا خلاصة نظرية تأسيسية حول مفهوم اللامعقول . وفي هذا الصدد فقد بينا الفرق بين اللامعقول ومصطلحين هما المتمرد والثائر فمنشأ مشكلة اللامعقول هي إدراكه الفجائي في لحظة من لحظات اختياره للحياة الإنسانية ،أنها فاقدة للمعنى والهدف،ومن تلك اللحظة المشفية لتفاهة الحياة الإنسانية يبدأ كفاحه الشاق للبحث عن المعنى والهدف لوجوده الخاص لحضارة بأكملها.

أما فيما يخص الفصل التطبيقي ،نرصد فيه تطور المسار الروائي لنجيب محفوظ ،حيث أبرزت الدراسات الأولى ..أن لنجيب مجموعة من المقالات الفلسفية التي تتجاوز العشرين بقليل .. والتي نشرها في المجلة الشهرية لأنها كانت أكثر الدراسات لاهتمام نجيب محفوظ بقضايا الدين والفلسفة ،والدراسات الأخرى التي نشرها في مجلة المعرفة كانت أكثر اهتماما بالأدب منها بالفلسفة مر نجيب محفوظ في مساره الروائي بثلاث مراحل ،المرحلة التاريخية التي امتدت من سنة 1930إلى 1938 ،والمرحلة الواقعية والفلسفية كان لكل مرحلة تأثير في إنتاجه الأدبي ،

قائمة المراجع

- **الكتب:**

1. أحمد هيكل ، ***الادب القصصي و المسرحي في مصر*** ، دار المعارف ، القاهرة ط 3 ، 1987.
2. إدريس قصوري ، ***أسلوبية الرواية مقاربة أسلوبية برواية زقاق مدق لنجيب محفوظ***، دار المعارف ،ب ط ، 2002 .
3. حسين العيد ، ***نجيب محفوظ رواية مجهولة وتجربة فريدة*** ، دار النهضة ، ط 1 ، 2002 .
4. محمد غنيمي هلال ، النقد الادبي الحديث ، دار النهض ، مصر 1977.
5. يوسف ابوسعد، ***نجيب محفوظ الرؤيا والموقف***، دار الجرير للنشر والتوزيع- ط1 ،2005.
6. عبد الرحمان ياغي، ***في الجهود الروائية- من سليم البستاني إلى نجيب محفوظ***، دار الفارابي، ط1. 1999.
7. عثمان البدري ، **وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ**، ب ط.
8. علي الراعي- **مجلة الهلال- مأساة الثائر ،الفرد عند نجيب محفوظ فبراير 1970 .**
9. عودة الله المنيع القيسي، **نجيب محفوظ نماذج الشخصيات المكررة ودلالاتها في روايته**، جمهورية مصر العربية، ط1، 2004 .
10. مصطفى تواتي ، ***دراسة في رويات نجيب محفوظ الذهنية – اللص – والكلاب – الطريق – الشحاد*** ،دار المعارف للنشروالتوزيع ،ط2(1993 ، تونس) ط3(2008، لبنان).
11. منير حافظ ، ***المعيار الجمالي في فن اللامعقول***، ط1 .
12. نبيل حداد ، ***نظرية في رواية المصرية*** ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، الأردن ، ب ط ، 2000.
13. هورست ريدكر، ***الانعكاس والفعل- تر- فؤاد مرعي*** ، دار الجماهير، دمشق.

14. يوسف ابو العدوس ، ***نجيب محفوظ- رؤيا وموقف***، دار الجرير للنشر التوزيع، ط1، 2005.
15. يوسف نوفل، ***الفن القصصي بين جيلي، طه حسين ونجيب محفوظ***- ط 1. 1992 ،دار القلم للنشر والتوزيع.
16. ابراهيم عبد العزيز، ***انا نچيب محفوظ سيرة الحياة الكاملة***، مصر،ط1 2006.
17. ابن سينا، **النجاة** ،ط1 ،دار النهضة ،2004.
18. أندونيس،**زمن الشعر**، دار العودة،لبنان 1972 .
19. حافظ جمالي ، ***المصادفة والضرورة***، دار الطلاس، ط 2 1998 .
20. روجيه غارودي، ***نحو حرب دينية- تر- صباح الجهيم-***،دار وائل ، ط2002،1.
21. سعيد شوقي ، محمد سليمان ، ***توظيف التراث في رويات نجيب محفوظ*** ،دار الكنادي للنشر والتوزيع ، الاردن ، ط1 ، 2000.
22. كارل ماكس ، **موجز المادية التاريخية عن نمو المجتمعات- تر - محمد احمد حسونة**، وزارة الثقافة- دمشق 1984
23. كارل ماكس، ***حول الفن- تر-***، محمد احمد حسونة ، ط1، دمشق ، 1967
24. كولن ولسن، ***المعقول واللامعقول في الأدب الحديث تر- أنيس زكي حسن***، ط 4، 1978
25. لالوند ، ***لالاند الفلسفية معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية***- تر- زكي نجيب الدار العربية. ط أ.2002 .
26. محمد توفيق حسين ،**عن كتاب المقاسات**، دار الأدب، ط1 .
27. محمد عابد الجابري ، ***نحن والتراث***، دار الطليعة ،ط2 ، 1980 .
28. محي الدين عزوز،***اللامعقول وفلسفة الغزالي***، الدار العربية للكتاب، ليبيا،تونس 1983 ب ط.

- **قواميس**

1. كونستاتين سيتانلافسكي- **المؤلفات الكاملة الثالثة**- تر- منير حافظ- المجلد الثامن ط روسية 1945-1961.
2. موندريان - قاموس الفن التجريدي .

- **مجلات :**

1. صلاح حافظ ، ***بلاغة الخطاب وعلم النص***،العدد 164، الكويت ،2009.
2. محسن النصار ، مجلة المعرفة السورية، ***العبث واللامعقول*** ، العدد39، دمشق ، 2010.

- **الانترنت :**

1. زيد بن عبد العزيز الفايض،**المعقول واللامعقول** ، مقال منشور على موقع الالكتروني www.facebook.com-posts ، سا-16:30. التاريخ.2010/08/07.
2. منصور أنيس ، ***مسرح العبث*** ، مقال منشور على موقع الالكتروني www.facebook.com-posts ، بتاريخ 2015/04/7 ، على سا 21:15 .
3. موقف الدين الكازري،**أدب اللامعقول** ، مقال منشور على موقع الالكتروني www.mokatabat.com ، سا 22:05- التاريخ-2016/08/14 .

الفهرس

الإهداء

مقدمة .....أ-ب -ج

الفصل الأول : أدب اللامعقول في الغرب

- تعريف اللامعقول..... 10
- الميادين التي ظهر فيها الأدب اللامعقول.....13
  - ظهور الأدب اللامعقول في النزاعات الأدبية.....13
  - ظهورالأدب اللامعقول في الميتافيزيقا.....14
  - المذاهب الفلسفية اللامعقولة.....15
- المضامين الفنية للامعقول.....17
  - المشروطية الزمكانية.....17
  - نموذجية العبث والإغتراب.....18
  - الماركسية في منهج اللامعقول.....20
  - التبادلية الانعكاسية في محتوى الفن.....21
  - اللامعقول والتراث.....23
  - اللامعقول في لغة الخطاب.....25
- الخصائص الفنية اللامعقول.....27
  - الحرية والتاريخ في مفهومية اللامعقول.....27
  - معيار السعاده في فن اللامعقول.....28
  - الحياة تجربة جمالية.....29
  - الحداثة امتداد الأصالة.....30

الفصل الثاني : المسار الروائي لنجيب محفوظ

- تطور الأدب عند نجيب محفوظ.....34
  - المرحلة التاريخية.....40

- المرحلة الواقعية.....41
- المرحلة الرمزية.....45
- أثر الأدبي الغربي في نجيب محفوظ.....48
- مظاهر اللامعقول في رواية ثرثرة فوق النيل 49
- خاتمة 52
- قائمة المصادر والمراجع 54
- الفهرس 58